

أولادنا

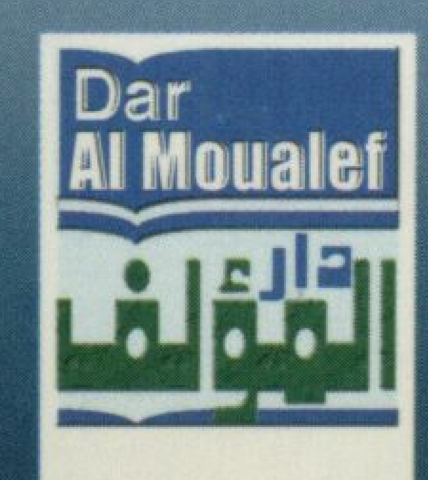
وأسئلتهم الصعبة



- الدلالات التربوية والنفسية
- الحرب وتأثيراتها على أولادنا



حسن ضاهر



أولادنا

وأسئلتهم الصعبة

يوميات أيمن الصغير في زمن الحرب

أولادنا

وأسئلتهم الصعبة

عن

الإنسان، الوجود، الحياة والموت، الحرب والسلام

* الدلالات التربوية والنفسية للأسئلة

* الحرب وتأثيراتها على أولادنا

حسن ضاهر





حســــن ضاهر

الطبعة الأولى
أغسطس 2004 م ـ جمادى الآخرة 1425 هـ



DAR AL-MOùALEF دار المؤلف
For Publishing and Distribution للنشر والطباعة والتوزيع
Tel. : +961 1 823720 - 824203 هاتف :
Fax : +961 1 825815 فاكس :
P.O.Box: (1102-2060) 13/5687 ص.ب :
Beirut - Lebanon بيــروت ـ لبنــان
e-mail: info@daralmoualef.com
www.daralmoualef.com

الإخراج وفرز الألوان والطباعة: شركة المجموعة الطباعية – فاكس: 825815 (01) بيـروت ـ لبنـــان

إهداء...

إلى أحبّ وأعزّ الناس عندي

إلى زوجتي عناية

وولدي أيمن

وابنتي لمى

ومنهم إلى كل الموعودين بعالمٍ أفضل

حسن

المحتويات



المقدمة

حكاية أيمن مع أبيه هي حكاية كل الأطفال في كل زمان ومكان، هي صرخة عفوية ومباشرة تنطلق من فم صغير متأرجح يفتش عن كل شيء ولا شيء مفعم بالرغبة في الحياة واستشفاف الأسرار حوله. هو حالة شبيهة بالحلم، متجاذبة بين النوم واليقظة بين الوعي واللا إدراك، يختلط فيها الزمان والمكان، الحقيقة والخيال، الرهبة والشجاعة. إنها الإطار الغامض حيث تتكثف الفكرة وتتجزأ وتحمل في طياتها تناقضها المميت، حيث البرهة ديمومة والمحدود مطلق. أيمن الصغير يمتص كل شيء ويعيده أضغاث أشياء غير مبال «بقوانين الكبار»، قساوة الواقع تنزل عليه كالماء الصقيع فينفر ويتمرّد ويهدد ويتوعّد، ويعود الحنان ليضع حاجزًا بينه وبين هذه القوى الضاغطة والمشرذمة. عودة التجربة وتكرارها بشكل قهري تشكل لديه الثلم الذي يجري فيه سياق الحواس والمشاعر والأفكار. حريته هي مساحة الحب الذي أودع في قلب البالغ.

من الضرورة إلى الحرية مسار يعيد تشكّل الإنسان الكامل في كل طفل ناطق، وطريق الهداية مضاءة بنجوم متباعدة مبعثرة لا يستطيع استقراءها إلا من كمنت فيه الطاقة والمعرفة الملهمة، وإن كان الطفل لا يدركها إلا أنه صانعها وأنها جزء لا ينفصم عن كيانه، فهو يرى في كل الأشياء إسقاطًا من جسمه الحي المنفعل والمتفاعل مع المحيط.

وهذا الكتاب إن لم يكن شرحًا جافًا لبدايات الوعي عند بني البشر، فإنه يسمح باستقراء التجربة المباشرة التي تشبه تجربة السابح في المحيط دون الاعتماد على معرفة مسبقة أو أداة جاهزة للعوم، إنها قصة روبنسون كروزو من دون رفيقه «ڤندريدي» ومن دون تاريخ.

فهل كان يستطيع أن يحمي ذاته من قرص البرد وألم الجوع ووحشة الوحدة، أم كان سيرى كما يرى أيمن أن للأشياء أرواحًا مثل بني البشر وأن روزنامته لم تكتب بعد وأن عليه أن يكتشفها، فهو محكوم أن يعيش بأجيال قبل أن يبلغ سن الطفولة.

د. ماجد كنج

مدخل

كل يوم وعلى مدار ثلاثة أشهر، كان ولدي أيمن يصرُ على مشاهدة شريطٍ مصور واحد لمسرحية من الدمى المتحركة دون غيرها، وكنت أراقبه فأجده منشداً إليها، متابعًا حواراتها، منفعلاً مع أحداثها في كل مرةٍ كأنها المرة الأولى التي يشاهدها.

وكنت أسأل نفسي، كيف يستمتع بهذا التكرار المتواصل؟

كان هذا السؤال الشرارة الأولى التي أدخلتني في مغامرة البحث في الانفعالات الداخلية لولدي والأطفال عمومًا، تجاه ما يواجهونه في سياق حياتهم اليومية ... مغامرة لم أكن أعلم إلى أين ستأخذني.

في البداية لم يكن الطريق واضحًا أمامي، ولكن مع تسجيل الملاحظة الأولى والثانية والثالثة، بدأت أدرك ما أنا مقدم عليه، فتهيبت الأمر وأحسست أن الرحلة طويلة وتحتاج إلى صبر كبير.

رغم ذلك فإنني عزمت أمري، ووضعت مخططًا أساسه مراقبة ولدي يوميًا، في سلوكه وحركته، في انفعالاته النفسية والعاطفية وفي نموه الذهني. واعتبرت أن السنوات الأولى من حياته هي المفصل الحاسم في تكوينه وتحديد مسار تعاطيه مع الحياة مستقبلاً. لذا كانت المرحلة العمرية الممتدة من ٣ إلى ٦ سنوات، محور مراقبتي له، وهي مرحلة يتداخل فيها أكثر من عنصر حاسم في التعبير على كل صعيد (لغة، حركة، انفعال).

وهنا تكشفت أمامي مجموعة من الأسئلة، ومنها:

* ما هو الأثر الذي يمكن أن يقدمه هذا الجهد على الصعيد التربوي عمومًا والتربية في مجتمعاتنا العربية خصوصًا، في وقت تعج فيه المكتبات ومواقع الإنترنت بآلاف الكتب والدراسات التربوية؟
* ماذا تعني ملاحظة سلوك وحالة طفل واحد؟ وهل يمكن سحب نتائج هذه الحالة على شريحة واسعة من الأطفال؟

هذه الأسئلة وغيرها كادت تحبط من عزيمتي وتعطل سعيي، لولا أن وجدت من خلال المكاشفة الذاتية وعبر التجربة الميدانية والاستقراء:

* أن التربية ليست شيئًا ناجزًا ولا وصفة سحرية موجودة في جيبنا، نعود إليها وقت الحاجة، إنها أكثر من ذلك بكثير، هي صيرورة حياة وديناميةة متحركة، وإلا كيف

نفسر عجزنا، في الغالب، عن التعامل مع أبسط أسئلة أولادنا، ولماذا نقف حائرين أمام سؤالٍ مثل: بابا، أنا أين أكون قبل أن أكون؟ وهل يمكن الاكتفاء بالإجابة، أنك لم تكن؟

* ووجدت أيضًا أن الطفل ليس واحدًا في كل زمانٍ ومكان على صعيد التكوين النفسي والعاطفي والذهني، رغم تقاطع الأطفال جميعًا في كثير من معطيات نموهم وحاجاتهم الأساسية في الغذاء والأمان واللعب والصداقة.

فالبيئة الحضارية لمجتمع من المجتمعات تبقى من العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الفرد رغم تأثيرات العولمة على كل صعيد، وبالتالي لا يمكن لأحد أن يقرر أو يجزم أن مشكلات الطفل في بيئتنا العربيِة والإسلامية هي نفسها مشكلات الطفل في مجتمعات أخرى.

* ووجدت أيضًا وأيضًا، أننا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، كثيرًا ما نلجأ إلى استعارة قاموس من المصطلحات والنظريات التربوية المنقطعة والخارجة عن أي سياق. ويتم كل ذلك دون مقاربتها أو حتى النظر بملاءمتها لواقع ومشكلات أولادنا في مجتمعاتنا.

وبالتالي، لم نكلف أنفسنا عناء البحث عميقًا في نفوس هؤلاء الأولاد، الذين هم أمامنا وفي متناول أيدينا، وهم أقرب إلينا بكثير من مطبخ المصطلحات والنظريات مهما كانت متماسكة ... وربما كان ذلك السبب الأساسي الذي دفعني لمتابعة السعي واتمام هذا الكتاب.

* وتبقى إشارة أخيرة، وهي أنني عمدت إلى قراءة المدلولات التربوية والنفسية لبعض النصوص المدرجة، وهذه القراءة، على أهميتها، تبقى مجرد محاولة لتحريك النافذة وفي حاجة لاستكمالها، وهي دعوة صادقة لكل المهتمين والمتخصصين بالشأن التربوي للمساهمة باستخلاص المدلولات الكامنة في نصوص الكتاب، وذلك حتى يكون الأثر أكبر وأشمل.

أخيرًا، كان على هذا الكتاب أن ينتظر 18 سنة حتى يصل إلى أيديكم ... كان عليه أن ينتظر انتهاء الحرب الأهلية في لبنان (زمن حدوث النص) حتى نصبح على مسافة منها ومن تأثيراتها المباشرة فتكون الرؤية، عندها، أوضح.

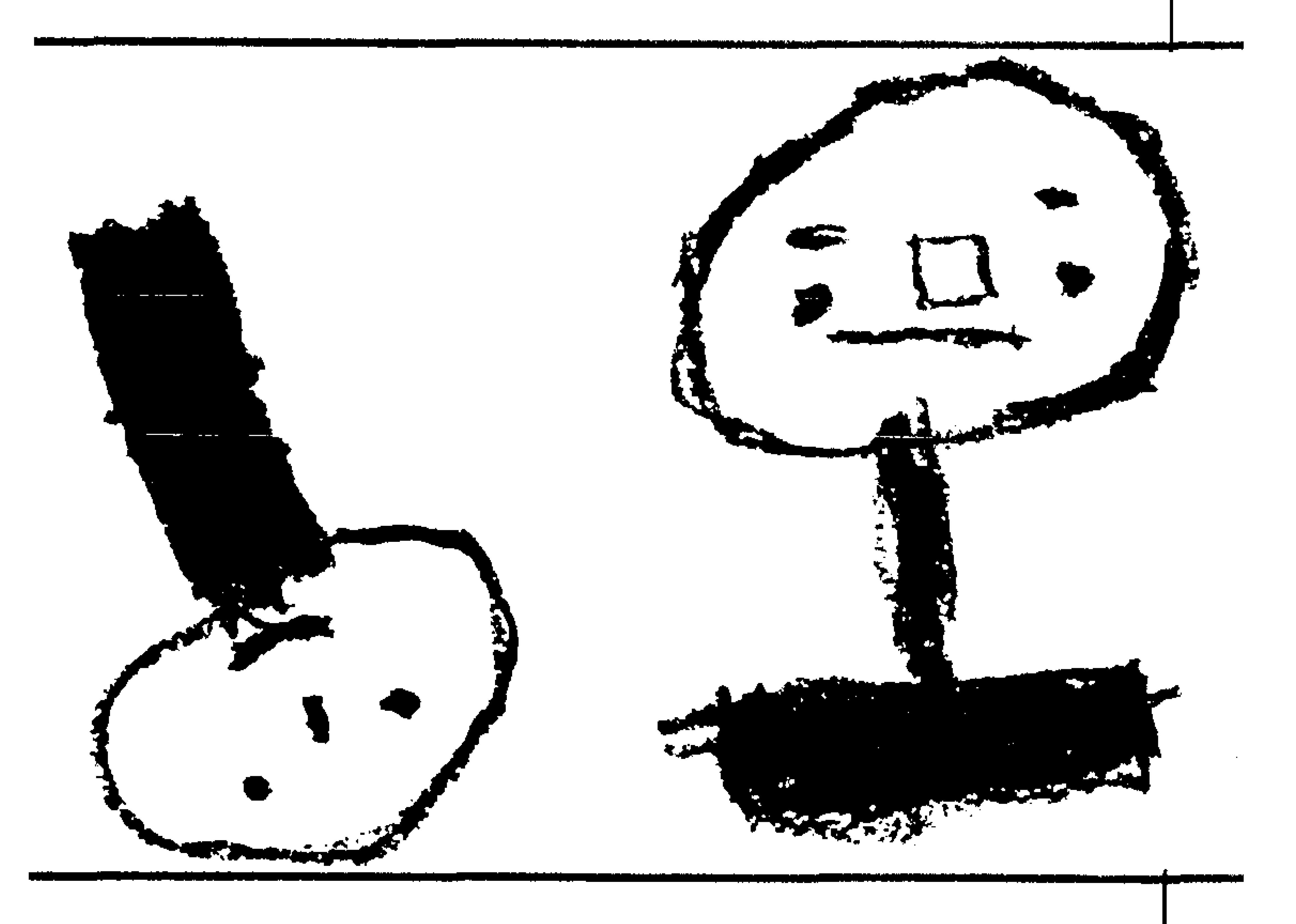
وفي هذا الإطار أنصح المهتمين والمدققين من القرّاء الأعزاء أن يقارنوا بين ولادة أيمن (1981/1/1) وتاريخ حدوث النص حتى تصبح القراءة أكثر متعة وفائدة.

حسن ضاهر



احكِ لي حكاية من رأسك

الليلة.. ومثل كل ليلة، قال بعد أن تمدّدت بجانبه: ـ «احكي لي حكاية من راسك».



قلت: كان يا ما كان، كان في ولد عطول الوقت يقول لأبيه: «بابا احكيلي حكاية من راسك». وكان أبوه يحكي له كل مرة حكاية من رأسه لكن اليوم كان أبوه نعسان قال لابنه: «أنا نعسان..». ونام. وتوتا توتا خلصت الحتوتا.

هنا أغمضت عيني وبدأت أتصنّع الشخير، بكى أيمن، فتحت عينيّ نصف فتحة وسألته: «ليش عم تبكي؟».

قال ودموعه تغطي وجهه: «هيدي مش حكاية من راسك».

قلت: «طيب شو هيَ؟».

قال: «هيدي حكاية من تـمَّك».

ضحكت بعد أن أعجبتني المفارقة، وتحوّل بكاء أيمن إلى شيء يشبه الابتسام فالضحك.

قال: «أنا ناطرك».

قلت: «شو ناطر؟».

قال: «تحكيلي حكاية من راسك».

وككل ليلة حكيت حكاية لأيمن من رأسي. ثلاث سنوات وأنا أحكي له كل ليلة حكاية. ثلاث سنوات فيها ألف ومئة ليلة وليلة. ثلاث سنوات حكى لي فيها أيمن ألف ومئة حكاية وحكاية من رأسه. حكايات لم يكن يعلمِ ولم أكن أعلم بداياتها ولا نهاياتها، حكايات كانت كل كلمة فيها مفاجأة واكتشافًا لي وله.

بيروت 1985/8/05





أين أكون قبل أن أكون؟

اليوم ألحّ أيمن على أن أجيبه عن سؤاله المتكرر:

■ «بابا. أنا أين كنت قبل أن أكون في بطن أمي»؟.

❖ «كنت نطفة صغيرة».

■ «لا .. قبل أن أكون نطفة صغيرة، أين كنت؟».

❖ «لم تكن موجودًا».

وهنا ألحّ علي كي أجيبه غير هذا الجواب وقال:

■ «فكّر ... يجب أن تعرف».

❖ «قلت لك إنك لم تكن موجودًا»؟.

■ «بلى... يجب أن أكون موجودًا، ولكن أين؟».

❖ «لا أعرف»...

تركني ثم ما لبث أن عاد ليقول لي وكأنه اكتشف سرًا عظيمًا:

■ «عرفت ... عرفت أنا كنت... ولكن أين؟ أو كنت لحالي».

بيروت في 1986/3/23

دلالات النص

أين أكون قبل أن أكون، سؤال وجودي وفلسفي بامتياز، ومثل هذه الأسئلة يقف أمامها معظم الأهل حائرين لصعوبة الإجابة عنها بجواب شافٍ أو

مقفل، وما يؤكد ذلك هو طبيعة الأجوبة التي حاولت فيها التخلص من إلحاح ولدي.

قلت له: «كنت نطفة صغيرة» لم تكن موجوداً لا أعرف»...

لكن أيمن لم يقتنع وأصر على وجوب وجوده قبل وجوده، وقد اكتشف بعد تفكير وتأمل ذاتي ما لم أستطع اكتشافه أو تفسيره.

فمن ناحية أولى حدد مرتكزاً إلى هذا الوجود، ومن ناحية ثانية اعتبر أن كل موجود في هذا الكون العظيم هو محدث الوجود (راجع قول أيمن في النص) «لقد عرفت... أنا كنت... ولكن أين؟». واكتشافه هذا سابق على المعرفة، أما قوله: «أو كنت لحالي» فهذا يستوجب التأمل كثيراً.



ماذا أفعل؟

بعد يوم متفجِّر قال لي ورأسه على صدري:

«بابا، إذا كنت في الشارع وانفجرت عبوة. ماذا يحدث»؟

حضنته محاولاً عدم الرد على سؤاله. بعد لحظات سكت فيها أيمن، عاد يسألني:
«بابا، إذا كنت أنا ورندا عم نلعب على الرصيف وطلع الانفجار ماذا أفعل»؟

لم يكن في مقدوري أن أطمئنه أو أقول أي شيء لأن صوت القذائف مازال يُسمع في الشارع.

قال: «طيب إذا جرحت ولم أمت. وجاءت شظية وذبحت رندا وماتت.
أنا ماذا سأفعل»؟

بيروت في 86/8/14





فرقيع، فرقيع، فرقيع

شمس الأحد مغرية، والحالة شبه أمان. قلت لنفسي: «آخذه إلى مدينة الملاهي».

دخلت معه من باب حديدي كبير. ركض أيمن تاركًا يدي باتجاه الطائرات. وأنا خلفه أتابع قفزه بين الناس، دوّت في المكان طلقة رصاص تبعتها رشقات غزيرة من رشاش «500». تدافع الناس هربًا، أكثر من صوت كان يردد:

* «زوارق إسرائيلية في البحر».



حملت أيمن وكان على وشك الصعود إلى الطائرة. هرولت مع جموع الناس والأولاد باتجاه السيارة، وأنا أحمله كان يصرخ باكيًا متوسلاً «بابا خلينا هون، خلينا هون». اختلط صوته بصوت الرصاص «خلينا هون هيدا فرقيع ما تخاف، هيدا فرقيع فرقيع فرقيع».

بيروت، 1984/11/10

دلالات النص

لا يمكن تفسير صرخة أيمن «هيدا فرقيع... خلينا هون» إلا لحاجته المستميتة من أجل البقاء في مدينة الملاهي، مهما كلفه ذلك...

لماذا كانت حاجته ملحّة إلى هذه الدرجة؟

* إنه لم يتسنَ له الخروج من البيت، إلا بعد أشهر بسبب الحرب من حولنا.

* إن عودته إلى البيت سريعاً، تعني عودته إلى الأسر من جديد، لذلك، حاول أن يوهمني ويوهم نفسه أن ما نسمعه هو صوت المفرقعات والألعاب النارية. وهو يعرف تماماً أن الأمر ليس كذلك.

* لقد أصبح الرصاص الذي يلعلع قربنا مساوياً لفكرة العودة إلى البيت، وأصبح الخطر الداهم في مكان لهوه، مرادفاً للأسر الآمن في بيته، وبالتالي فما معنى ترك المكان.



خط التماس

كنت في غرفتي حين سمعت هذا الحوار بينه وبين أمه:

أيمن: «اليوم رحت على خط التماس».

أمه: «وشو كنت عم تعمل هونيك؟».

أيمن: «كنّا عم نلعب بيت بيوت ورا البناية».

أمه: «أنت ومين؟».

أيمن: «أنا ورندا ووصال».

أمه: «ومنين بتعرف خط التماس؟».

أيمن: «شو أنت ما بتعرفي؟ خط التماس كان بالضيعة وبعدين صار ببيروت».

تركت غرفتي بعد أن استمالني كلام أيمن.

سألته: «كنتو عم تلعبو بيت بيوت؟».

قال: «اي، ورندا كانت عم تطبخ، قالتلي لوين رايح، قلتلها على خط التماس. قالت ما تروح قبل ما تاكل».

سكت أيمن لحظة، سألته: «وبعدين شو عملت؟»

قال:«رحت على خط التماس وصرت قنّص على البيوت أول شي قوّصت الباب».

سألته: «باب بيتكم؟».

قال مؤكدًا: «لأ بيت ناس تانيين. وفجأة قوّصوا المحارب (لفظ كلمتي فجأة والمحارب باللغة الفصحى) المحارب انفتحت بطنه ونشّف دمه ومات. إجت الإسعاف وِصَال وصارت تزمّر وأخدته عالمستشفى».

سألته: «أنت ما خفت؟».

قال: «لأ.. وبقينا نقوّص على الناس والبيوت. ولما إجا الليل شلحنا ثياب الإسرائيلية ورجعنا عالبيت».



الحوت يعرف

كنت قد وعدته منذ أكثر من خمسة أشهر، بأني سآخذه إلى نادي الجيدو.

اليوم سألني (كان يسألني السؤال نفسه بين الفترة والفترة): «بابا أيا يوم رح تاخدني عالجيدو؟».

قلت: «ما بعرف».

سأل بعصبية: «ليش ما بتعرف؟».

قلت محاولاً تهدئته: «بابا، لما ما يعود في رصاص وقذايف باخدك عالجيدو».

سأل: «وأيا يوم بيخلص الرصاص؟».

قلت: «لما تخلص الحرب».



سأل بتأفف: «وايمتين رح تخلص الحرب؟».

قلت: «ما بعرف يا بابا».

قال: «على طول ما بتعرف». ثم تحوّل عني ليسأل أمه: «ماما، ايمتين رح تخلص الحرب؟».

كانت أمه مشغولة بتقطيع حبات اللوبياء قالت: «ما بعرف».

قال: «كمان أنتِ ما بتعرفي. البابا ما بيعرف والماما ما بتعرف وأنا ما بعرف. مين بيعرف؟! يمكن.. (سكت فجأة وكأن شيئًا لمع في رأسه) ثم قال: «يمكن الحوت

بيعرف». وأطلق ضحكة فيها كثير من التمثيل».

بيروت 1984/9/8



دلالات النص

أيمن يريد أن يعرف متى ستنتهي الحرب ليتسنى له العيش بسلام، ومَنْ هو أكثر من أبيه وأمه - كما يعتقد - معرفة بذلك؟

إنهما بالنسبة إليه مثاله الأعلى، وهذا المثال يجب أن يعرف كل شيء وإلا خرج الأمر عن المنطق.

وعندما تأكد له أنهما لا يعرفان، التبست المسألة في ذهنه. كيف لا يعرفان! لم يستوعب ذلك، فخرج هو هذه المرة عن المنطق واختار كلمة «الحوت» من بين كل مفردات اللغة لتكون على لسانه. ولكن هل يبرر ذلك وحده استدعاء هذه الكلمة وربطها بمسألة المعرفة؟ هذا ما يجب التدقيق فيه.

* هل لمسألة الحجم أي دلالة في ذلك؟
* هل للمحيط المائي الذي يعيش فيه هذا الكائن الكبير أي علاقة بموضوع المعرفة؟

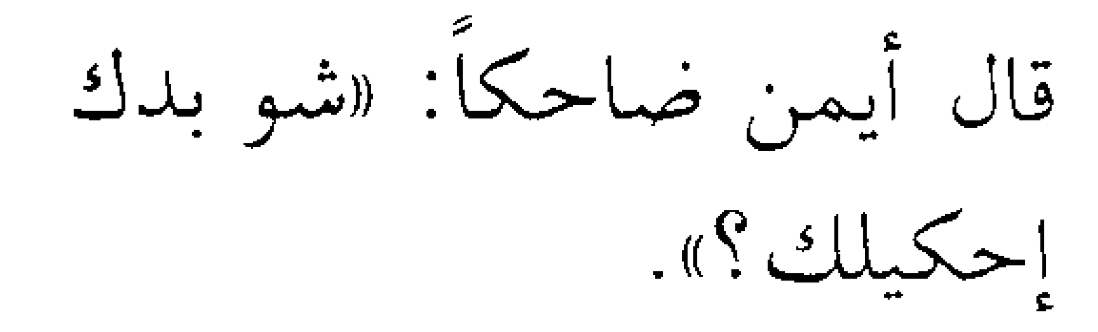
لم يقدر أيمن أن يرى أن على اليابسة مَنْ هو أقدر وأعلم من أبيه وأمه، فكان من المنطق أن يقع اختياره على كائن من خارج المحيط الذي يعيش فيه هو كائنٌ أكبر بكثير، وما دام هو كذلك، فلا بد من أن يكون أعلم بكثير.

ورغم ذلك، فإن ضحكة أيمن كانت بمثابة الدلالة الواضحة على التباس الموقف كله.



أيمن والإسرائيلي

قلت لأيمن: «اليوم أنت لازم تحكي حكاية من راسك».



قال أيمن ضاحكاً: «شو بدك إحكيلك؟».

قلت: «احكيلي عن الطيارة والحبلة».

قال: «كان يا ماكان من قديم الأيام كان في ولد اسمو... (سكت قليلا ثم سألني) اسمو شو؟».

قلت: «اسمو عدنان».

قال: «لأ .. اسمو هاني . هاني قال لأمو ولبيو بلّش الإضراب». قالتلو أمو: «قعود بالبيت وما تضهر». هاني ما سمع كلمة أمو ونزل عالشارع، شاف حديدة مدورة تشقلب فيها براسو، بعدين إجت الطيارة الإسرائيلية وصارت تقوّص على هاني.

* هنا سكت أيمن لفترة. سألته: ـ «وبعدين شو صار؟».

قال: «بعدين طلع هاني عالبيت جاب سلاحو وحَيْتو وحبلتو، ونزل عالشارع، ونزَّل الإسرائيلي».

سألت أيمن: «من وين نزَّلو؟»

قال: «من فوق. شو أنت ما بتعرف؟ وتوتا توتا خلصت الحتوتا».

بيروت، 1985/11/12



من فوق السطح

قال: «بابا .. أنا من زمان لما كنت كبير نطيّت من فوق السطح وما متت».

قلت: «لأ .. ما فيك تنط من فوق السطح».

قال: «مبلا .. شو نسيت؟».

قلت: «شو بدي إنسى؟ إذا بتنط بتموت».



قال: «نبيلة قالت لي أنو من زمان نطيّت وما متت».

قلت: «نبيلة عم تمزح معك».

قال: «لأ .. أنت ما بتعرف لأنك كنت ببطن أمك .. من وين بدك تعرف أنو نطيت من فوق السطح».

قلت: (محاولاً التخلّص من إلحاحه) «أي .. أي».

قال: «بابا .. بتعرف شو حسيت لما كنت واقف بدي نط».

قلت: «شو؟».

قال: «كنت عم فكر، أنو أنا قبضاي، وإذا نطيت ما بموت. بس يمكن موت».

وبعدين كانت نبيلة وزياد وسيمون عم بيقولو: «أي يلا نط. يلا نط. يلا نط، ونطيت وما متت. شفت».

بيروت، 1985/7/1

دلالات النص

إن جملة «أنا من زمان لما كنت كبير»... توحي أن لأيمن حياة أخرى سابقة

على حياته، وهذه الحياة الأخرى تسمح له أن يقلب الأمور رأساً على عقب... ولكن عندما لم أقتنع بكلامه، أسرع يدعِم مقولته عن حياته السابقة بقوله: أنت (يا بابا) لا تعرف، لأنك كنت في بطن أمك، فمن أين لك أن تعرف أنني قفزت من فوق السطح ولم أمت»؟

لماذا عمد أيمن لاختراع حياة ثانية له؟

يبدو أنه لم يكن أمامه إلا أن يكون كبيراً، وحتى أكبر مني، فهو لو حاورني من موقع الصغير، كما هي الحال، فلن يستطيع إقناعي أنه من زمان نط ولم يمت... لهذا لم يكن أمامي إلا الاستسلام له، وعندما تم له ذلك أخيراً، استراح في كلامه، وبدأ يصف شعوره وهو واقف على السطح، من موقع القوي المسيطر على الحوار.



أنا أبـــو أختـــي

وضع أذنه على بطن أمه وراح يستمع لضربات الجنين. قال: «بابا. ماذا تريد أنت، بنت أو صبي؟».

❖ بنت.

■ «عظيم، وأنا أصير أباها».

❖ «لا يمكن أن تكون أباها».

■ «بلى .. أنت أبي، وأنا أبوها، وهي (أشار إلى أمه) تكون أمها. وهيك يصبح عندها أم واحدة».

❖ «لا أنا أبوها فقط».

■ «لا أنا أبوها».

❖ «مثلما تريد. هيا اذهب إلى غرفتك».

سكت أيمن وذهب إلى غرفته بعد قليل عاد يسألني.

■ «بابا، طيب متى أصير أبًا لأحد؟».

❖ «لما تكبر وتتزوج».

■ «أف. أنا بعد بدي كتير لأكبر». (قالها بحسرة)

❖ «وكيف عرفت؟».

■ «كان من زمان، وهلق حتى من زمان وبعدني صغير، ما فيني انطر أكثر من هيك حتى أكبر».

بيروت، 86/5/10



حاجز ليلي

كان أيمن معي حين أوقفنا حاجز مسلح على مستديرة المطار.

الساعة الثامنة مساء وبيروت شبه خالية. انتظرنا دورنا خلف طابور صغير من السيارات.

سألني بعد أن تلفَّت مستغربًا:

«بابا ليش الليل هيك»؟.

سألته: «كيف هيك»؟.

قال: «هيك. شو أنت ما بتعرف»؟.

ازداد عدد المسلحين حول المكان. سأل: «شوفي»؟

قلت: «عم بفتشو السيارات».

سأل: «على شو»؟

قلت: «على السلاح».

فكّر وسأل: «شو نحنا معنا سلاح»؟

قلت: لا.

قال: «طيب خلينا نمشي».

قلت بتأفف: «ليجي دورنا».

ألحّ: «ليش ما منقطع عن السيارات ومنمشي».

قلت: «مافينا بقوصوا علينا».

قال: «بس نحنا ما معنا سلاح».

قلت: «المسلحين ما بيعرفوا».

كنا قد وصلنا إلى الحاجز، أنزلني المسلح من السيارة فتشني، فتحت له الصندوق فتّشه، قال: «لا تواخذنا» قلت: «بسيطة».

انطلقت وأيمن ساكتًا. انتظرت منه كلمة أو سؤال، لم يفعل. فقط قبل أن ينام بلحظات سألني: «بابا ليش المسلحين معهن سلاح»؟.

لم أجب ولم يلحّ عليَّ السؤال ونمنا.

بيروت، 1985/11/10



دلالات النص

ما يستوقف في هذا النص سؤال أيمن التالي: «ليش المسلحين معهم سلاح».

هل يمكن للمسلح أن يكون بدون سلاح؟ هذا السؤال يستبطن موقف أيمن الرافض للسلاح والمسلحين عموماً. وهذا الرفض نابع أصلاً من إدراكه الملموس أن هذا السلاح هو الذي يمنعه من أن يعيش بسلام.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، يبدو كأن أيمن يعرف بالفطرة أن هؤلاء المسلحين الذين استوقفونا، لا شرعية لهم، إنهم مجرد ميليشيات.

ثم إن حمل السلاح يجب ألا يتم إلا بهدف، فما هو هدف هؤلاء المسلحين؟

بالنسبة إلى أيمن، لا بد من أن تكون الأهداف نبيلة تبعاً لتربيته، وإذا أردتم لفطرته... وأهداف هؤلاء لا يمكن أن تكون نبيلة، لأنها تمنعه من الذهاب إلى السينما والمسرح، ومدينة الملاهي، والكورنيش والبحر ونادي الجيدو وحتى إلى المدرسة، إذن ليس هناك من سبب لحملهم السلاح إلا إعاقة حياته الطبيعية، وما دام الأمر كذلك، فمن أعطاهم الحق بحمل السلاح وتوقيف الناس اعتباطاً؟

بالخلاصة يتضمن سؤال أيمن معنى الإدانة لهذا السلاح وحامليه.



كي كي كي كي

* حكاية من رأس أيمن.

كان يا ما كان في مَرَه نايمة.

صاح الديك كي كي كي كي ما فاقت.

صاح مرة ثانية كي كي كي كي ما فاقت.

قال الديك: «يه... ليش ما فاقت؟» يمكن تفيق هلق، ورجع صاح كي كي كي كي، بس ما فاقت».

ما حدا سمع الديك. الناس عملوا حالن ميتين.

قال الديك: « يه... شو بدي أعمل؟».

وبعدين راح الديك عالبيت.

وكسّر الخزانة بس ما حدا فاق.

كسّر الكنباية والطاولة بس ما حدا فاق.

كسّر الحيط والباب والشباك بس ما حدا فاق

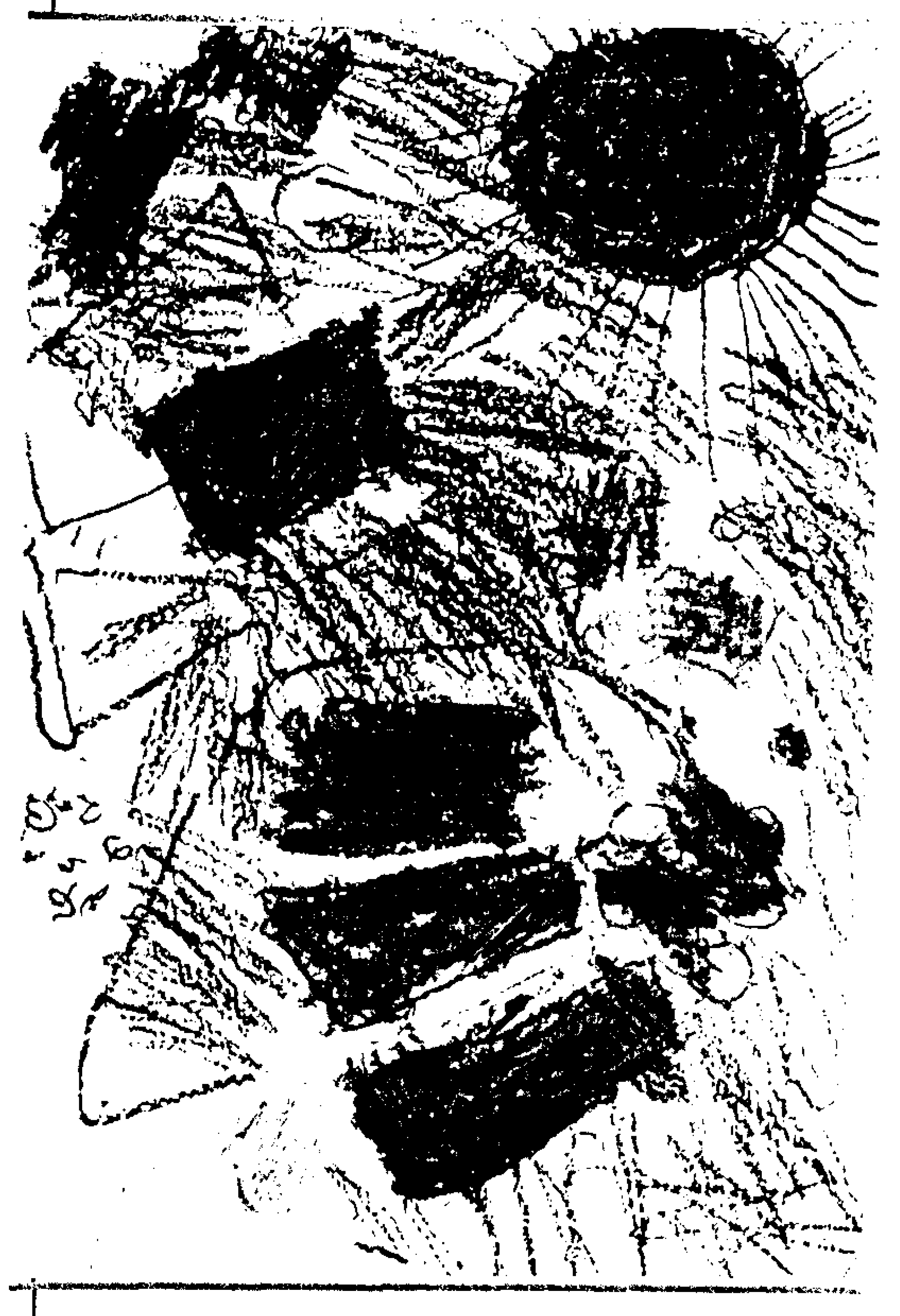
بعدين قال: «يمكن لازم أعمل إنفجار». قام جاب لمبة كبيرة كثير كثير وقّعها على الأرض وطلع صوت إنفجار كبير. فاقت المرة النايمة.

الديك هرب على أميركا وفات على بيتو بسرعة ونام. وتوتا توتا خلصت الحتوتا.

بيروت، 85/7/3



جنديان



في غرفة الهاتف الدولي للعموم (مبنى وزارة السياحة في الحمراء) راح أيمن يتفحّص بحذر جنديين كانا بلباسهما العسكري المرقط. لاحظه الجنديان فابتسما له. التصق أيمن بأمه جاعلاً من تنورتها ستارًا بين مرمى عينيه وابتسامة الجنديين. من خلف التنورة سأل: «ماما هيدا إسرائيلي». ضحكت أمه وقالت: «لأ ... هيدا جندي لبناني».

سأل: (أيمن) «يعني منيح؟».

قالت: (أمو) «أي منيح».

لكن أيمن ألحَّ بالسؤال: «وبقوّص على الإسرائيلي؟». ارتبكت أمه. أحد الجنديين فاجأه السؤال، الآخر وهو يضحك، حمل أيمن وأجاب :«إن شاء الله. إن شاء الله». لكن أيمن لم يفهم شيئًا. كان الجو أعرج.

بيروت، 1984/10/3



دلالات النص

في النص مسألتان ملتبستان في ذهن أيمن... وهي:

* أنه يريد أن يعرف، هل الجندي الذي رآه في غرفة الهاتف، هو جندي

لبناني أم إسرائيلي.

* حتى بعد أن عرف أنه جندي لبناني، كان يريد أن يتأكد هل هو جندي جيد أم سيىء «يعني منيح؟».

ماذا يعني ذلك؟

* لقد شاهد أيمن من القوى المسلحة ما يكفي لحصول الالتباس في ذهنه.

* شاهد الميليشيات من كل المشارب والاتجاهات.

* شاهد جنوداً لبنانيين منقسمين على أنفسهم وملتحقين بهذه الميليشيات.

* شاهد خلال الاجتياح الإسرائيلي الثاني للبنان، جنوداً إسرائيليين وهم يعيثون دماراً في كل مكان.

هو يدرك بالفطرة والتربية، أن السلاح يجب ألا يكون بين الناس وله غاية واحدة وأساسية وهي الدفاع عن حدود الوطن، وأن مقياس صلاح المسلحين والجنود عموماً يكمن في مقاومتهم للعدو الذي يغزو أرضهم.

لذلك كان سؤاله «يعني منيح»؟ منسجماً مع هذا الإدراك، فهل هذا الجندي «بقوِص على الإسرائيلي».

وما ارتباك أمه وتفاجؤ الجندي بالسؤال إلا تدليل على حجم الالتباس الكبير في الموقف.

لم يحصل أيمن على جواب شافٍ لسؤاله وبقي الجو أعرج.



حلــم

قال: «كنت عم بحلم. وبعدين كل العالم شربو«منو» ! وماتو».

سألته: «مين كلن؟».

قال: «الناس. شو أنت ما بتعرف؟».

قلت: «مبلا .. وبعدين».

قال: «بعدين. جيت أنت بدك تشرب «منّو». حملت القنينة بإيدك وصرت قلّك لأ لأ لأ . بس أنت ما سمعت وشربت ووقع رأسك لتحت ومتت».

سألته: «وإنت؟».

قال: «أنا لأ .. ما شربت».

بيروت، 1985/8/1





وبكى أيمن

حين أزّ رصاص الجندي الإسرائيلي فوق رأس أيمن على حاجز باتر ـ جزين، خبأ نفسه فيَّ.

بعد أن هدأ الجو وعادت الناس المنفرطة إلى أماكنها، رفع أيمن رأسه، ومسح المكان بعينيه الخائفتين، سألني:

■ «الإسرائيلي الصغير بقوّص»؟.

قلت: لأ.

سأل: «طيب ليش الإسرائيلي الكبير بقوّص علينا»؟

قلت: «ما بحبنا».

سأل: «ونحنا منحبو»؟

قلت: لأ.

سأل: «طيب ليش ما منقوّص عليه»؟

قلت: «ما معنا بارودة».

قال: «خلينا نجيب بارودة».

فجأة عاد الإسرائيلي يطلق النار وانفرط الناس من جديد في هرج ومرج وانفرطت معهم وعلى يديّ أيمن، لم أكد استقر به بعيدًا عن الحاجز حتى عاد يسألني:

■ «ليش ما منجيب بارودة»؟.

قلت وعيناي زائغتان في المكان:

❖ «من وين»؟.

■ قال: «من هونيك».

❖ وأشار بيده إلى مكان خلف أشجار بستان الزيتون المجاور. شردت مع يده الممدودة نحو الأشجار، لكنه عاد يسألني:

■ «بابا، نحنا منحب الإسرائيلي الصغير»؟.

❖ قلت بارتباك: «لا أعرف».

■ سأل: «طيب منقوّص عليه»؟.

❖ قلت: (محاولاً إثارته لمعرفة ما يريده بالتحديد) «نعم».

فجأة بكى أيمن، بكى بكاءً مرًا، لم يسكت إلا حين أكّدت له أكثر من مرة أنني أمازحه.

بيروت، 1984/10/21

دلالات النص

ما الذي دفع أيمن للكلام عن الإسرائيلي الصغير والإسرائيلي الكبير؟ هل

كان يرغب في تأكيد ما هو مؤكد في لاوعيه، أن الصغار أمثاله مهما اختلفت أصولهم لن يقدموا على فعل القتل أو الترهيب شأن الكبار.

وإذا كان الصغار لا يطلقون النار للقتل، فلماذا يفعل الكبار ذلك («طيب ليش الإسرائيلي الكبير بقوص علينا؟»). وكأن أيمن في تساؤله هذا، يرغب في أن يُحيل الكبار صغاراً حتى يعم السلام والهدوء من حوله... لكن الرغبة شيء وواقع الحال شيء آخر، فالجندي الإسرائيلي ما زال يطلق النار فوق رأس أيمن الذي بدأ يرتعد خوفاً بين يديَّ... وهذا ما دفعه لسؤالي: هل هذا الإسرائيلي يحبنا؟ وهل نحن نحبه؟

وعندما جاء الجواب بالنفي تأكد لأيمن أنه لا مناص من المواجهة لإعادة الهدوء الفوري من حوله بحسب ما يتوهم.

مع خوفه على حياته بدأت أسئلته تأخذ معنى آخر تماماً.

- ليش ما منقوص عليه؟

- ما معنا بارودة

- خلينا نجيب بارودة

- من وين؟

- من هونيك.

وكلمة من هونيك تعني أنك إذا أردت المواجهة فلن تخذلك الوسيلة وستجدها في أي مكان («وأشار بيده إلى مكان خلف بستان الزيتون المجاور»).

اللافت في النص أن أيمن لم يُقفل الحوار على ما سبق، بل أراد قبل ذلك الاطمئنان على الإسرائيلي الصغير، لذلك عاد يسأل («هل نحن نحب الإسرائيلي الصغير؟ وهل نطلق النار عليه؟»).

وعندما أردت إثارته وأجبت بـ « لا أعرف عن السؤال الأول وبنعم عن السؤال الثاني، بكى أيمن بكاءً مراً. ودلالة بكائه هنا واضحة لناحية رفضه المساس بهذا الصغير تحت أي اعتبار.

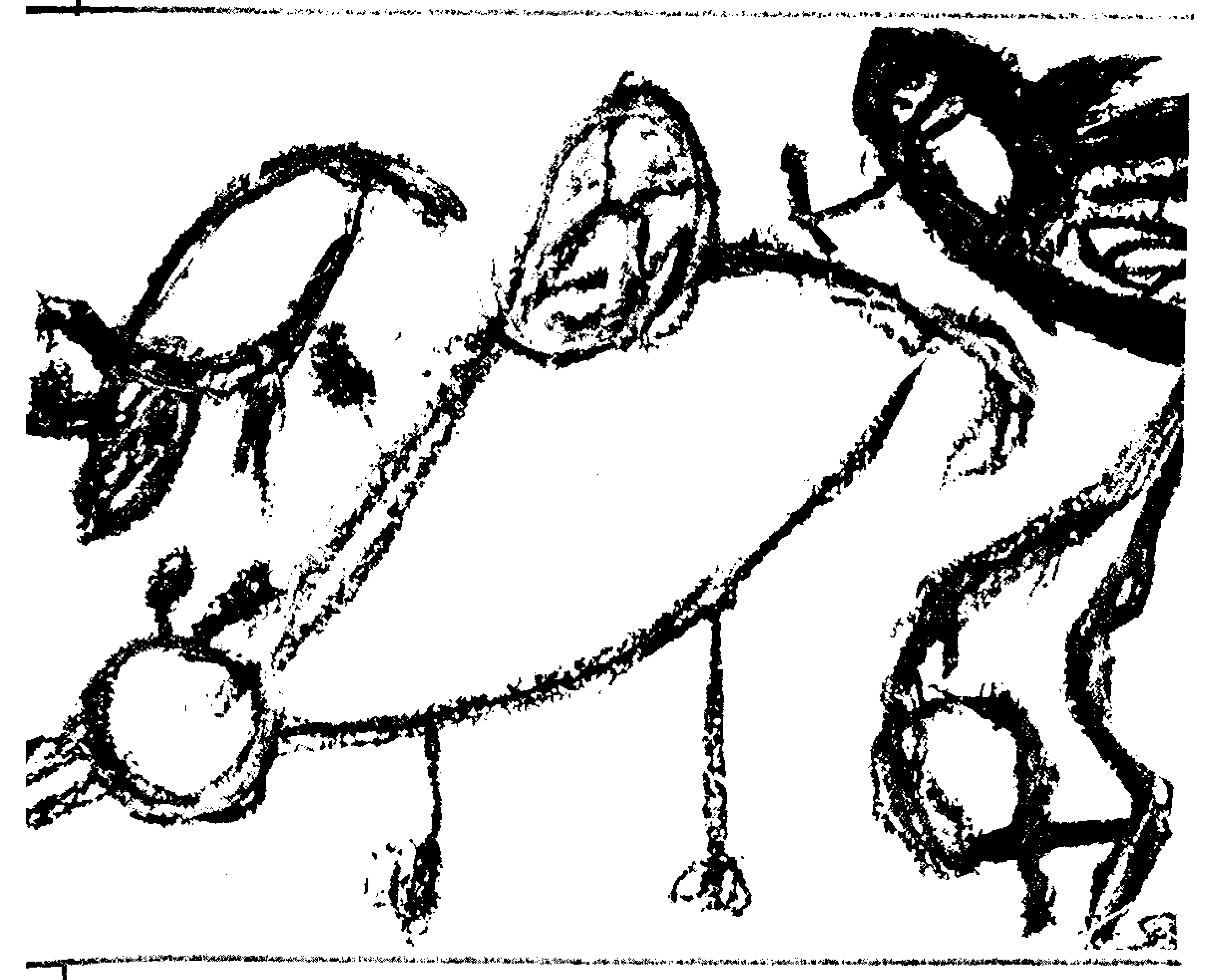
نقتلها أو لا نقتلها

إنها المرة الأولى التي يرى فيها ذبابة بهذا الحجم، كانت كبيرة جدًا. لحقها بعينيه وهي تحوم في الغرفة قبل أن تحطّ على حافة الشباك. سألني وعيناه ثابتتان عليها: ـ «بابا أنت بتقتل الدبانة الكبيرة؟».

قلت: «أي».

سأل: «ليش؟».

قلت: «لأنها بتأذينا».



قال: «بس هيدي أم الدبانات الصغار».

قلت: «وإذا كانت أمهن. طالما بتأذينا لازم أقتلها».

سأل: «طيب ـ إذا ـ إجا أبوهن بتقتلو؟»

قلت: «أي بقتلو هوّا وأمهن».

قال: «حرام الدبانات الصغار بيصيروا يبكوا».

قلت: «وإذا بكيو شو يعني؟».

قالَ بتحدّي: «طيِّب (شدّ على حرف الياء) الدبانة الكبيرة بتهرب منك وبتروح عبيتها».

قلت دون أن أعرف إلى أين سيأخذنا الحوار: «بلحقها».

قال: «بس بيتها بعيد».

قلت: «بسأل صاحب الدكان أبو جهاد عن بيتها».

قال: «يمكن أبو جهاد ما يقلك».

قلت: «مبلا بقللي».

سكت لحظة وهو يتابع بنظراته تنقلات الذبابة الكبيرة من مكان إلى مكان ثم فاجأني: «إي بس الدبانة هربت لعند إسرائيل، أنت بتقدر تروح لعند إسرائيل؟»

قلت محاولاً معرفة ماذا يريد بالتحديد: «إي بقدر».

قال وهو يضحك باستخفاف: «أنت ما فيك تلاقي الدبانة، بتعرف ليش؟ لأنها بتتخبا عالدبابة. أنت بتقدر تقرِّب حد الدبابة؟».

قلت: «أي بقدر».

قال مستغربًا: «قال بيقدر قال». (ثم استدرك قائلاً) «طيِّب إذا بتقدر خلينا نطلع على كفر رمان* عند نبيلة».

بيروت، 1985/10/5

* كفررمان، قرية من قرى جنوب لبنان، كانت حتى تسجيل هذه الملاحظة تحت مرمى رصاص قوات الاحتلال الإسرائيلي.



حكاية وردة

قلت لـه: «احكيلي حكاية عن وردة». قال:

■ كان في وردة، وكان في أم وولد. نسيت الأم تسقي الوردة. والولد نسي كمان. وبعدين ماتت الوردة. طلعت الأم واشترت وردة جديدة قامت انطفت الكهرباء.

وضحك أيمن ثم تحوّل ضحكه إلى قهقهة متواصلة. سألته وأنا أضحك معه

❖ وبعدين شو صار؟

■ قال: وبعدين توتا توتا خلصت الحتوتا.

❖ قلت ملحًّا: «بس ما قلتلّي، ليش انطفت الكهرباء».

■ قال مستغربًا: «يه... ما قلتلك خلصت الحتوتا».

بيروت، 1985/1/2

دلالات النص

يشير النص، من ناحية أولى، إلى مسألة غياب العناية بالوردة من قبل الأم والولد، الأمر الذي يؤدي إلى موتها.

ومن ناحية ثانية، استبدال الوردة الميتة، بشراء الأم وردة جديدة مكانها.

كل ذلك مفهوم، ولكن، ما العلاقة بين شراء الأم للوردة الجديدة وانطفاء الكهرباء (النور).

* إن غياب العناية بالوردة أدى إلى موت الوردة.

* شراء الوردة الجديدة أدى إلى انطفاء النور

وإذا كان النور يرمز إلى الحياة فإن انطفاءه يرمز، بمعنى ما، إلى انعدام الحياة... ماذا يعني ذلك؟

هل يمكن لنا إرجاع سبب انطفاء النور إلى تعلُق أيمن بوردته التي ماتت واستبدلت بها وردة جديدة؟

وإذا كان الأمر كذلك، هل يبرر أو يؤدي موت الوردة واستبدالها إلى انعدام الحياة؟

هناك عنصر منقطع لم يوضحه سياق النص ولا إقفال أيمن للحكاية على هذه الصورة (وتوتا توتا، خلصت الحتوتا) ما هو هذا العنصر الخارج عن الحكاية؟

هل يكمن في سياق الحياة اليومية لأيمن داخل الأسرة؟

* هل يحاول أيمن أن يشير إلينا ولو بالتورية إلى ضرورة التنبه للعناية به دائماً حتى لا يحصل له ما حصل للوردة؟

* هل ينبهنا إلى مخاطر التحول عن الاهتمام به والانشغال عنه بأشياء بديلة؟

هذا ما لا يمكن الإجابة عنه.



صوفيا البعيدة

كان الشارع فسيحًا ونظيفًا وخاليًا من السيارات، كان مليئًا بالأطفال، أطفال يفترشون الزفت، يرسمون فوقه بالطباشير الملوّنة، يرقصون ويغنون كأنهم في عرس كبير.

كان المشهد التلفزيوني هذا مشهدًا جميلاً جدًا، وكان أيمن يتابعه بعينين مفتوحتين حتى حدّهما الأقصى. قال:

■ «بابا خدني لهونيك».

لكن صوفيا بعيدة جدًا، ومهرجان الأطفال الثالث فيها قد انتهى وما نراه ليس إلا صورًا من الأرشيف. كأن أيمن أحسّ بهذا الأمر فاستدرك ليقول:

■ «بقلّك يا بابا، أنا لما أكبر بروح لوحدي بالسيارة».

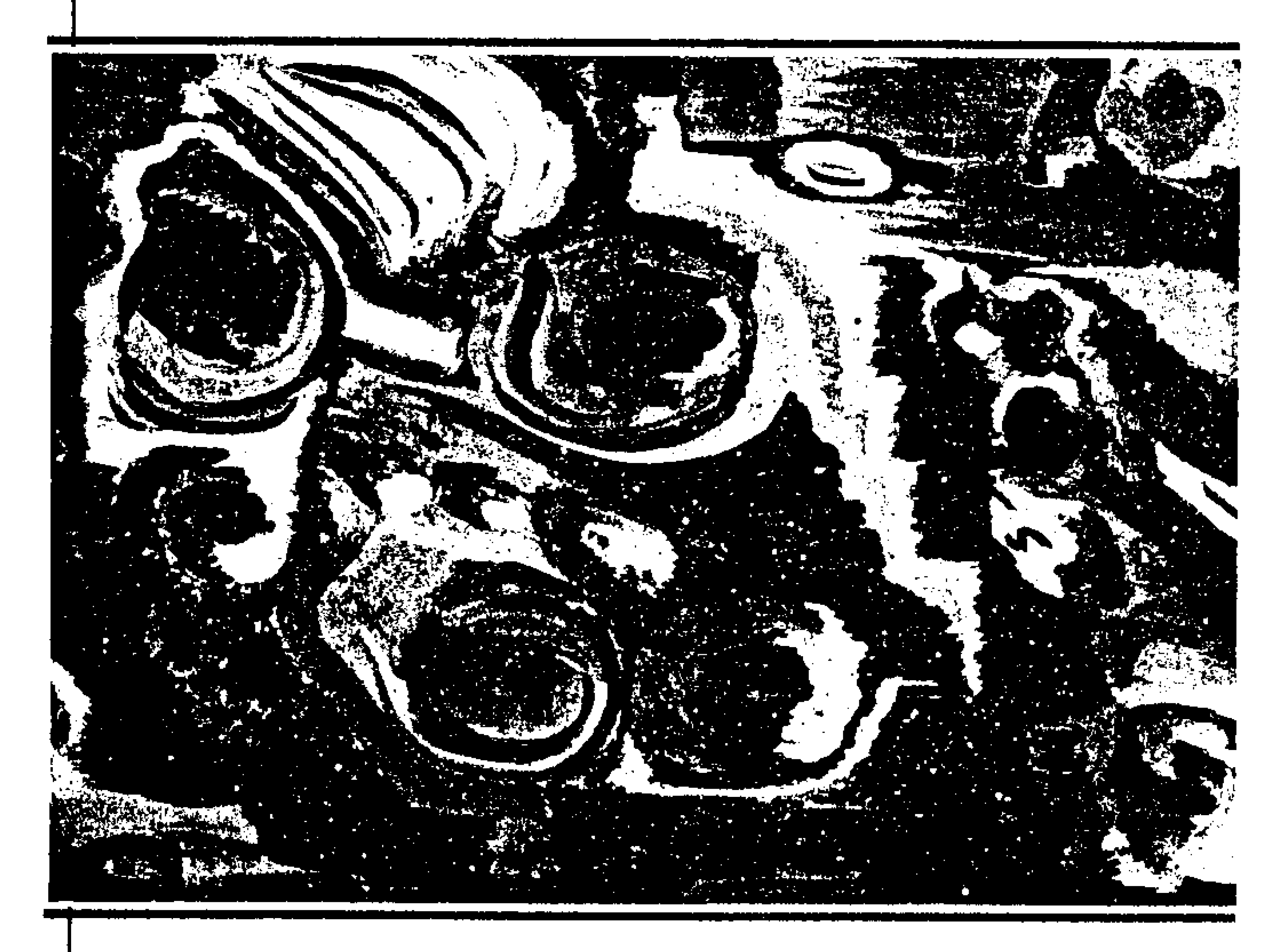
بيروت، 1985/11/9



حين رحلت أم أيمن

اليوم قمت بعمل أحمق.

كنت جالسًا وزوجتي وأيمن مع جارتنا «إيمان» حين طرأت على بالي فكرة لم أكتشف مدى خطورتها إلا في النهاية.



قلت لأيمن: «أمك الآن أصبحت إيمان. أما أمك عناية فستذهب عند أهلها».

ضحك أيمن غير مصدّق. ولكي أثبت له صحة ما أقول أمسكت بذراع أمه وأخرجتها من البيت.

ركض أيمن باتجاه الباب وحاول فتحه. وقفت حياله وأنا أقول:

❖ «خلص هذه هي أمك الجديدة (أشرت إلى إيمان) أمك عناية ذهبت».

■ قال وقد بدأت وجنتاه بالاحمرار: «لأ.. هيدي مش أمي.. هيدي مش أمي عناية واندفع باتجاهي كصاروخ يريد إزاحتي عن الباب، لكني وقفت ممانعًا. صرخ أيمن وهو المحافظ في ألفاظه: ـ «روح يا... من هون، بدي الماما» أزاحني بالقوة وفتح الباب لكنه لم يجد أمه كما كان ينتظر. هنا بدأ يصدّق ما يجري حوله. سألني وعلى وجهه ابتسامة صفراء: ـ «وينا؟!!!».

❖ قلت: «ذهبت إلى بيت أهلها .. فوت عالبيت».

لم يسمع كلامي وبدأ ينزل درجات السلم درجة درجة وهو يشدّني بيدي وكان حريصًا أن أبقى معه. وصلنا إلى الشارع، نظر حواليه، لكنه لم يجد أمه بالطبع (كانت مختبئة في الطابق الثالث، خلف الدرج).

❖ قلت له: «ما قلتلك أنو راحت ـ يلاّ لازم تطلع عالبيت وتشوف أمك الجديدة إيمان».

في هذه اللحظة اعتبر أيمن أن الأمر حقيقة، وأن أمه ذهبت. راح يصرخ ويلبطني بشكل جنوني، حملته وكان يفرفر بين يدي كدجاجة مذعورة. قلت له محاولاً تهدئته: « عم كذّب عليك ـ أمك فوق».

لم يصدق ولم يرضَ أن يصعد معي إلى البيت. وظل هكذا إلى أن نزلت أمه إلى الشارع، وما إن رآها حتى غمرها، ولم يتركها إلاّ بعد أن نام.

ظل أيمن لأكثر من أسبوع لا يكلّم إيمان ولا يقترب منها.

بيروت، 1985/3/10

دلالات النص

الحاجة إلى الأمان وخصوصاً في مرحلة الطفولة المبكرة، هي أساس النمو المتوازن للطفل، وأكثر من يجسد هذا الأمان هو شخصية الأم تحديداً.

لقد ورد في النص، أن أيمن لم يصدق لأول وهلة ماذا يحصل، لم يصدق كلام أبيه (لقد أصبحت أمك الآن إيمان... الجارة) فابتسم ابتسامة صفراء، ولكن عندما أصبحت أمه فعلاً خارج البيت أيقن أن الأمر جدِي، فتحول فجأة إلى

طفل شرس (أزاح أباه عن الباب بقوة) واستعمل لأول مرة في حياته ألفاظاً بذيئة.

هو ليس قادراً بعد على التمييز بين الواقعي والخيالي بشكل واضح، لقد صدق ما يحصل فاهتاج وتحول إلى ما يشبه الدجاجة المذبوحة، وعندما بحث عن أمه ولم يجدها أصبح كمن ألقيته في فراغ لامتناهٍ، لقد فقد نقطة ارتكازه وتوازنه، فقدَ الأمان (راح يصرخ ويلبط أبيه بشكل جنوني) ولم يهدأ إلا حين رأى أمه من جديد لم يتركها إلا بعد أن نام. وفي نومه هذا كان كمن يلقي عن كاهله أحمالاً ثقيلة وتعب وتوتر شديد.

أما من ناحية تحاشي أيمن الاقتراب من إيمان (الأم المزعومة) لا يعني إلا الخوف من تكرار التجربة المؤلمة، تجربة خسران أمه فعلاً.

بالخلاصة، لقد قمت فعلاً بعمل أحمق، وجعلت ولدي يمر بتجربة مريرة وصعبة سوف تترك آثارها فيه إلى أمد بعيد. إن أخطر ما في الأمر، هو أنني قمت بهذا الفعل بهدف اللهو فقط، دون التنبه إلى خطورة ما قد ينجم عن ذلك، وهذا العمل الذي قمت به يقارب إلى حدٍ بعيد ما يقوم به الكثير من الأهل مع أولادهم، فغالباً ما نحاول التخلص من إلحاح أسئلة وطلبات أولادنا بالكذب عليهم والقول إننا سنفعل ذلك غداً، بهدف إبعاد الأمر عنا، أو نقوم بتخويفهم بالغول، لردعهم عن أفعالهم التي لا نرضى عنها. وفي كل الحالات سوف يكون ولدنا هو الضحية دون أن ندري.



أمين الجميل

قبل أن تخرج إلى عملها. ألقت أمه نظرة من النافذة وقالت:

* «يمكن تشتي الدني، لبْسّو كنزة قبل ما تضهر».

كان أيمن منهمكًا بأكل حبّات العلكة الصغيرة. قال:

■ ته ته ته. هلق كيف بدو يروح أمين الجميل على بيتو!؟»

ضحكنا ـ أنا وأمه ـ ضحك معنا. تابع وهو يضحك.

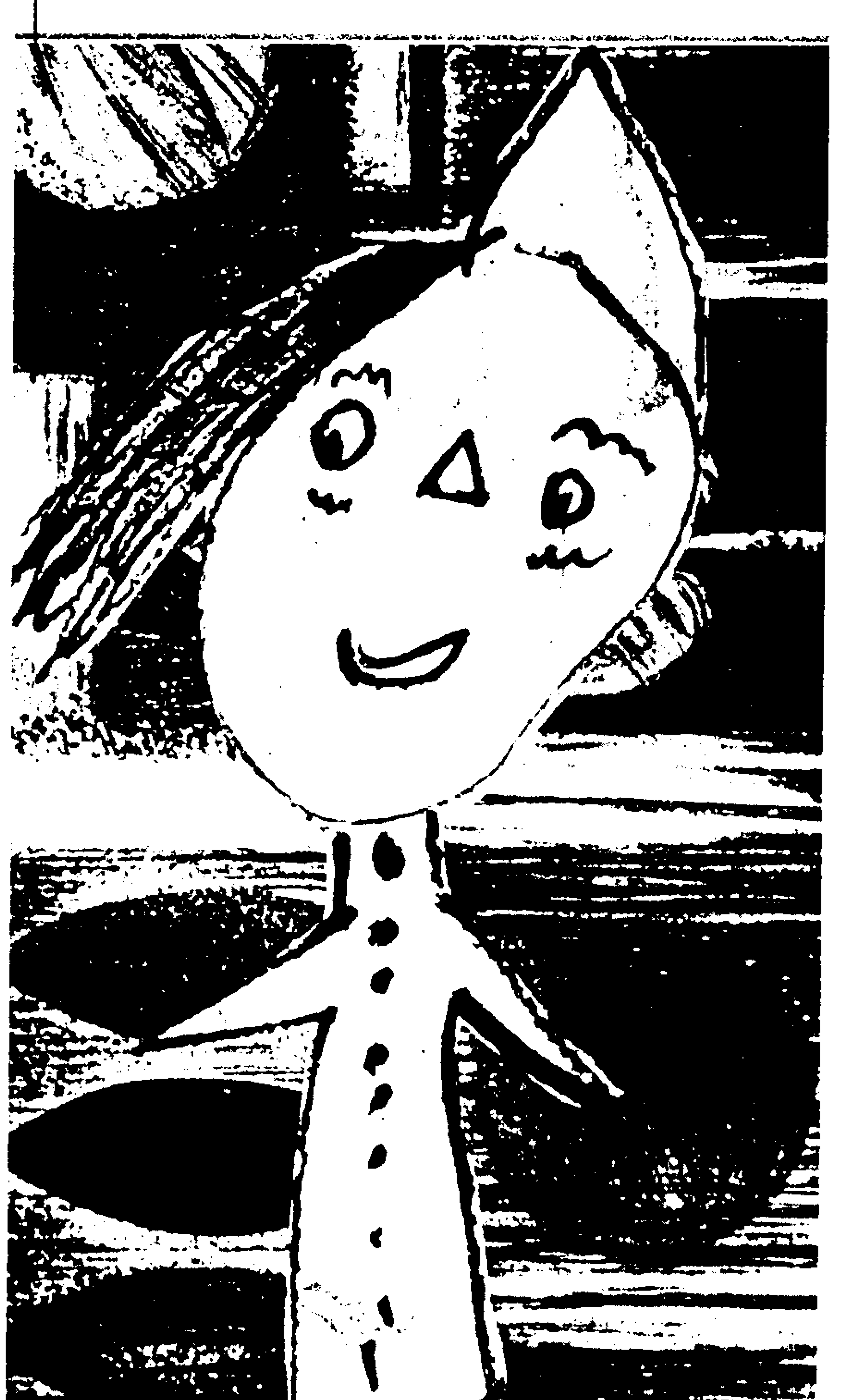
■ «يا حرام، هلق رح تشتي الدني عليه».

بيروت، 1985/11/18





زيارة



لأول مرة منذ شهرين كنا في زيارة لأحد الأصحاب في منطقة الرواس. حوالىَ العاشرة ليلاً عدنا إلى البيت. كنا ننزل من السيارة حين لعلع صوت الرصاص في الشارع وسمعنا صوت زجاج يتكسّر، نزلنا على عجل. حملت أيمن وهرولت مع زوجتي باتجاه البيت. ما إن هدأنا حتى سألني أيمن: ـ «بابا ليش المسلحين عم بكسّروا بيتن».

بيروت، 1985/6/3



دلالات النص

ما أعطى لهذا النص قيمة هو السؤال الذي جاء في آخره (بابا، ليش المسلحين عم بكسروا بيتن).

لو استعمل أيمن كلمة «البيت» بدل «بيتهم» لما كان لهذا النص هذه القيمة، ولما تم تسجيله أساساً.

فإن يعمد المرء لتكسير شيء لا يخصه، لكان ذلك عملاً يمكن تبريره، تبعاً للدوافع من وراء فعل التكسير. ولكن أن يعمد المرء إلى تكسير بيته، فهذا

أمر خارج عن المنطق، أمر لم يستطع أيمن الصغير أن يتخيله أو أن يتقبله، فما هو الواقع من وراء ذلك غير تدمير الذات؟!

أود الإشارة هنا، إلى أنه بين لحظة تسجيل هذا النص وبين نشره ١٨ سنة (شأنه شأن بقية النصوص في الكتاب).

هل كان أيمن وعمره آنذاك (حوالى خمس سنوات) يعلم أننا سوف نظل ندفع كلفة هذا التكسير جيلاً بعد جيل وعلى كل المستويات الاقتصادية والبشرية وخصوصاً الخلقية منها؟

هل كان يعلم أنه هو نفسه (وهذا ما هو حاصل الآن فعلاً) وربما أولاده من بعده سوف يتحملون تبعة أفعالٍ لم يكن لهم شأن بها؟

بين عدم علم أيمن بذلك وصرخته المحتجة (لماذا) معرفة فطرية أصيلة لمعنى الصلاح من عدمه، معرفة سابقة على إحداثيات العلم بالشيء.



أمنية في يوم متفجّر طويل

بعد أن أمضى أكثر من ثلاثة أيام بلياليها في البيت، دون أن يخرج حتى من الغرفة التي نعتقد أنها أمينة. قال:

❖ إن شاء الله يجي عليهن الإنفجار ويموّتن كلّن.

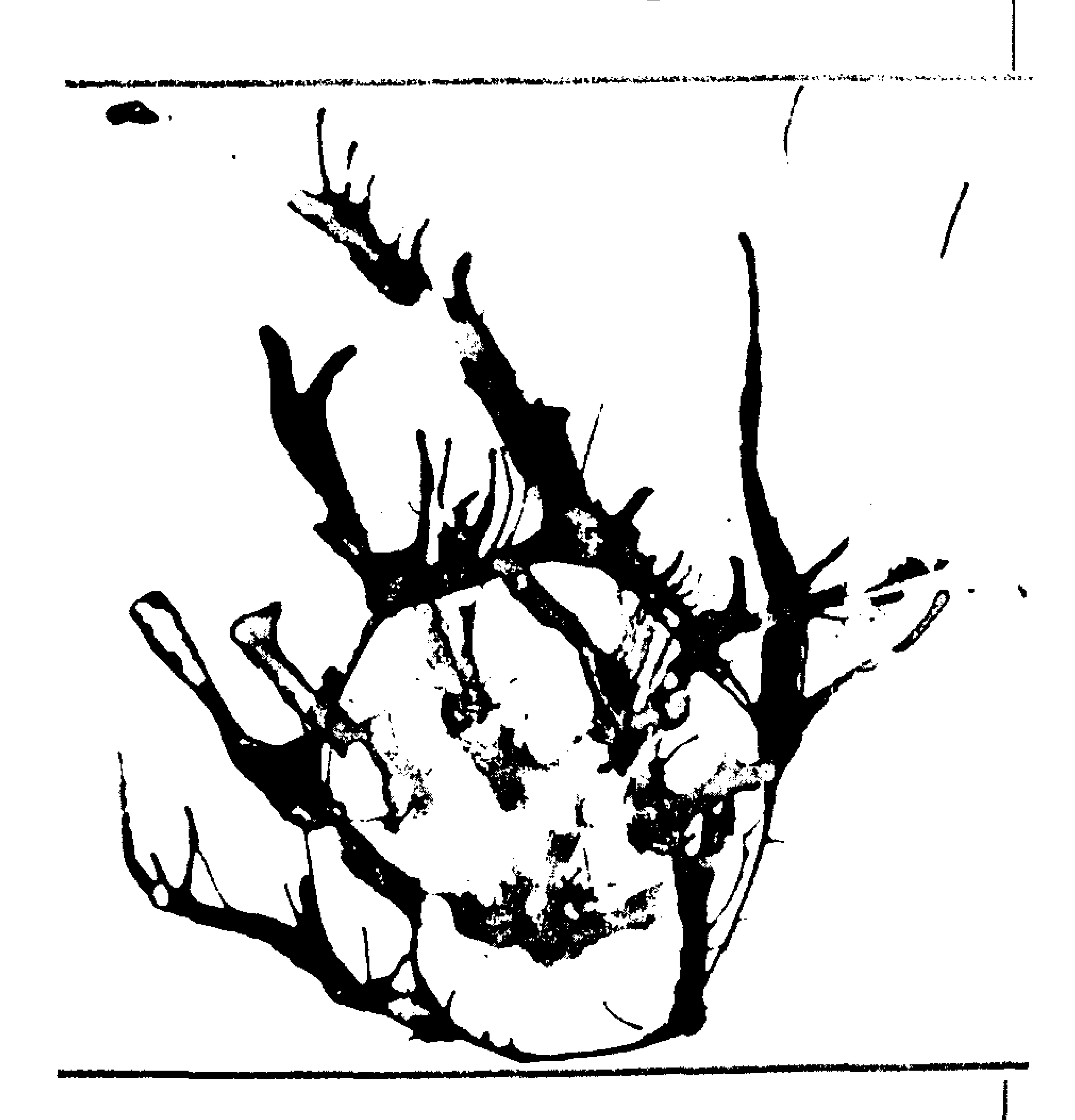
■ سألته: لمين؟

❖ قال: «للمسلحين». ثم استدرك يسأل نفسه: «بس كيف بدو يجي الإنفجار عليهن وهنّي عم بقوّصوا؟!!» سكت قليلاً. فكّر ثم قال:

❖ «بقلك يا بابا، المسلح بينسى وبيحمل البارودة هيك» (وأشار بيده إشارة جعل فيها فم البارودة باتجاه وجهه، وأخمصها باتجاه معاكس) ثم تابع مؤكدًا.

❖ «وهيك بيطلع الإنفجار فيه وبموت».

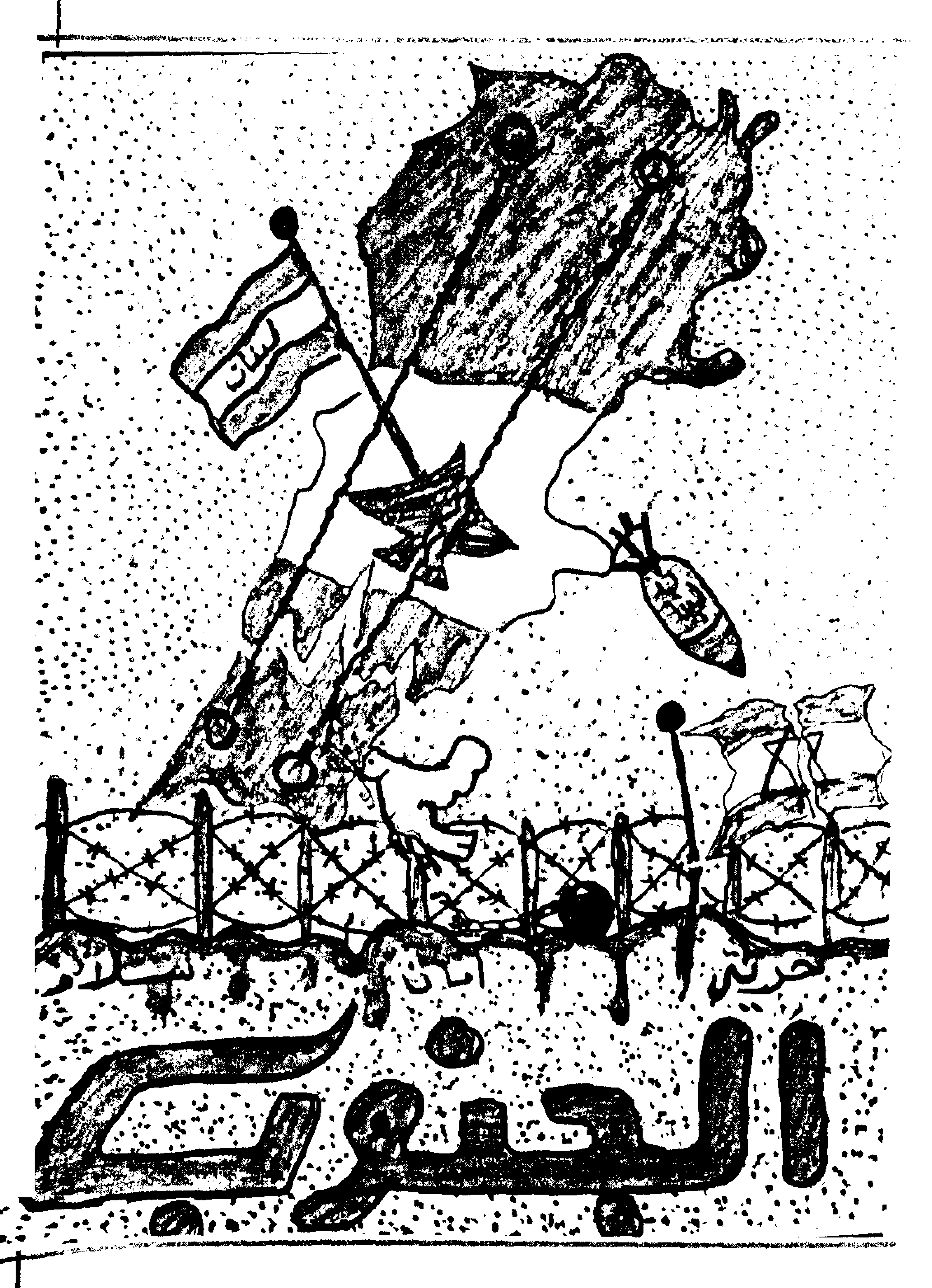
بيروت، 1985/11/23



العلم اللبناني

حملته من باص المدرسة وعلى رأسه علم لبناني. على درجات السلم سألني:

■ «بابا. شو يعني الاستقلال؟»



❖ قلت: «يعني لما طلع الفرنساوية من بلدنا».

■ شو يعني بلدنا؟

❖ يعني وطنّا.

■ شو يعني وطنّا؟

❖ يعني بلدنا لبنان.

■ شو يعني لبنان؟

❖ يعني شارعنا ومدرستنا وبيتنا وجيراننا.

■ طيب وينو؟

❖ هون.

■ لأ ... عم قول وطنّا أنا وياك.

❖ حاج تسأل. شو بدي ضلّني قلّك.

■ سماع شوي ...، ليش وطنّا صار لبنان ؟

❖ قلت وقد استنفدت كل التفسيرات: «ما بعرف. حل عني».

تركته واتجهتُ نحو غرفتي. لم يلحق بي. سمعته يقول بصوت عال.

❖ أنا بعرف، صار علم إسرائيلي.

عدت إليه أسأله وقد فاجأني كلامه: «علم مين»؟

❖ قال: «هوَ علم لبناننا».

■ قلت: «لأ. مش علم إسرائيلي».

❖ سأل: «طيب علم شو؟»

■ قلت: «علم لبنان».

❖ قال (بحسم): «طيب مثل ما بدك».

ثم تركني ومضى...

بيروت، 1985/11/20



دلالات النص

لقد استدرجني أيمن بأسئلته عن استقلال لبنان ومعنى الوطن، ليصل إلى سؤاله الأهم والأصعب («طيب وينو») وهذا السؤال يتضمن معنى الشك بوجود الشيء فلماذا يشكك أيمن بوجود وطنه، ولماذا أصبح علماً إسرائيلياً؟ ربما كان هذا الالتباس في تحديد معنى الوطن ووجوده يعود إلى الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ وما ترتب على ذلك من انقسام حاد في بنية المجتمع اللبناني. هذا الاجتياح فرض تغيراً حاداً في أمكنة السكن لمعظم أبناء الوطن الواحد. فعلى سبيل المثال تبدل سكن أيمن في زمن الاجتياح أكثر من عشر مرات، هرباً من المعارك وبحثاً عن الأمان. وعندما يتغير المكان بهذا الشكل المنقطع والمفاجىء يسود عدم الاستقرار

وخصوصاً عند الصغار، فالمكان بالنسبة إليهم هو أكثر الإحداثيات المحسوسة دلالة على الانتماء وبالتالي على معنى الوطن.

فعندما سألني أيمن («ماذا يعني لبنان») وأجبته بأنه يعني «شارعنا مدرستنا وبيتنا وجيراننا» لم يقتنع تمام الاقتناع وعاد يسألني («طيب وينو»).

فما دام البيت صار بيوتاً أخرى لكثرة الترحال وكذلك الشارع والمدرسة والجيران، فلا بد إذن من أن يصير الوطن كله وطناً آخر بالنسبة إليه، وطناً يسوده عدم الأمان والاستقرار والخوف من المجهول. لهذا كان سؤال أيمن («لماذا أصبح وطننا لبنان») إدانة لمكان عيشه ورغبة ملحة لتركه وإبداله بمكان آخر أكثر أمناً.



المسلحون

سألني ضاحكًا، وكان الجو ملبدًا بالقذائف والرصاص.

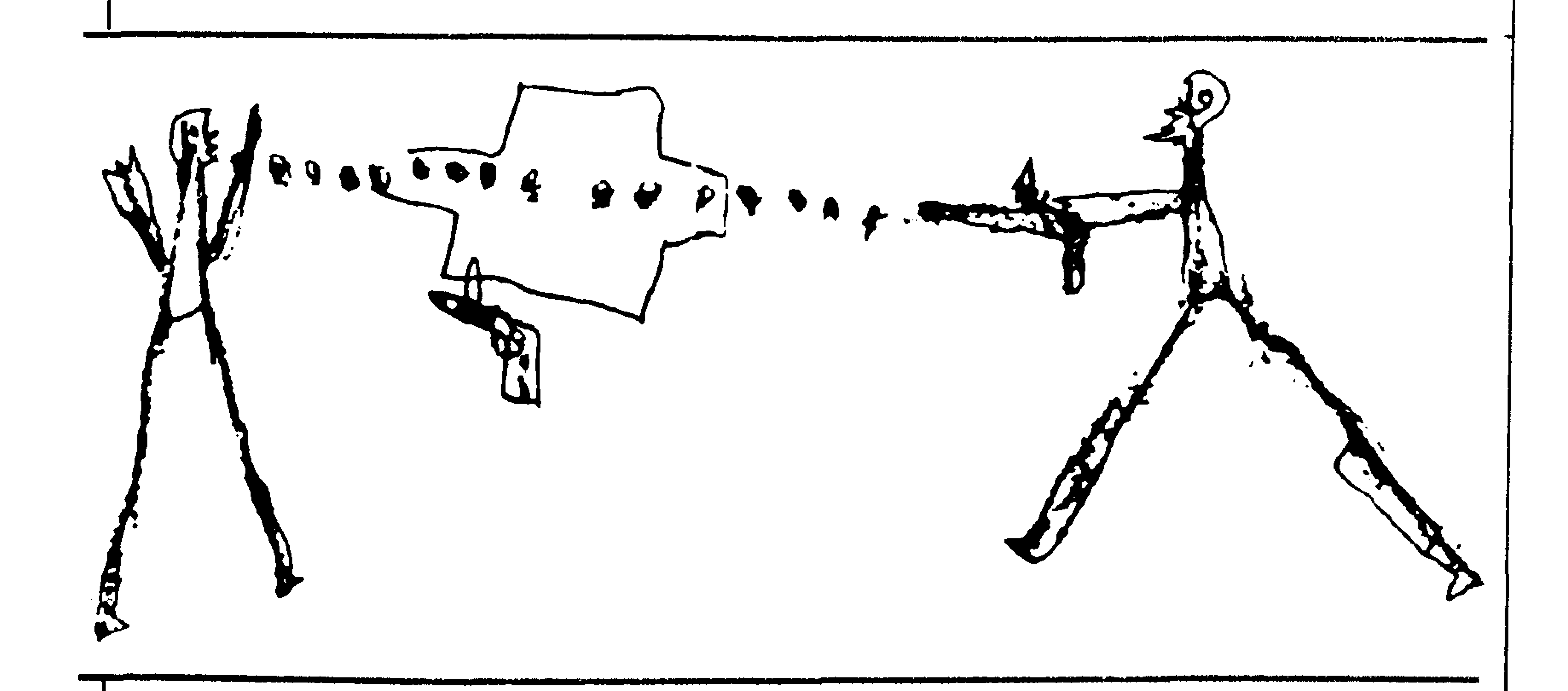
❖ «بتعرف بشو عم بقوّصوا المسلحين»؟

■ قلت: «بالبارودة».

❖ قال: «لأ. أنت ما بتعرف. عم بقوّصوا بالطزطوزة وحمامتهن».

ثم غرق بضحك غريب.

بيروت، 85/11/12



حياة وموت

فجأة ودون أيّ مقدّمات. تقدّم أيمن من أمه وقال:

■ «أنا زعلان يا ماما».

(قال جملته هذه بأسى واضح)

❊ سألته أمه: «لماذا يا ماما»؟.

■ «غدًا أنت والبابا ستكبران كثيرًا وتصبحان ختياريه».

(نظرنا إلى بعضنا أنا وأمه وضحكنا)

■ قال بلهجة الأسى نفسها: «تضحكان! غدًا عندما تتعكزان على العصا، ربما وقعتما على الأرض».

❖ «أنت تساعدنا حتى لا نقع».

■ «وإذا لم أقدر؟».

❖ «عند ذلك سنقع».

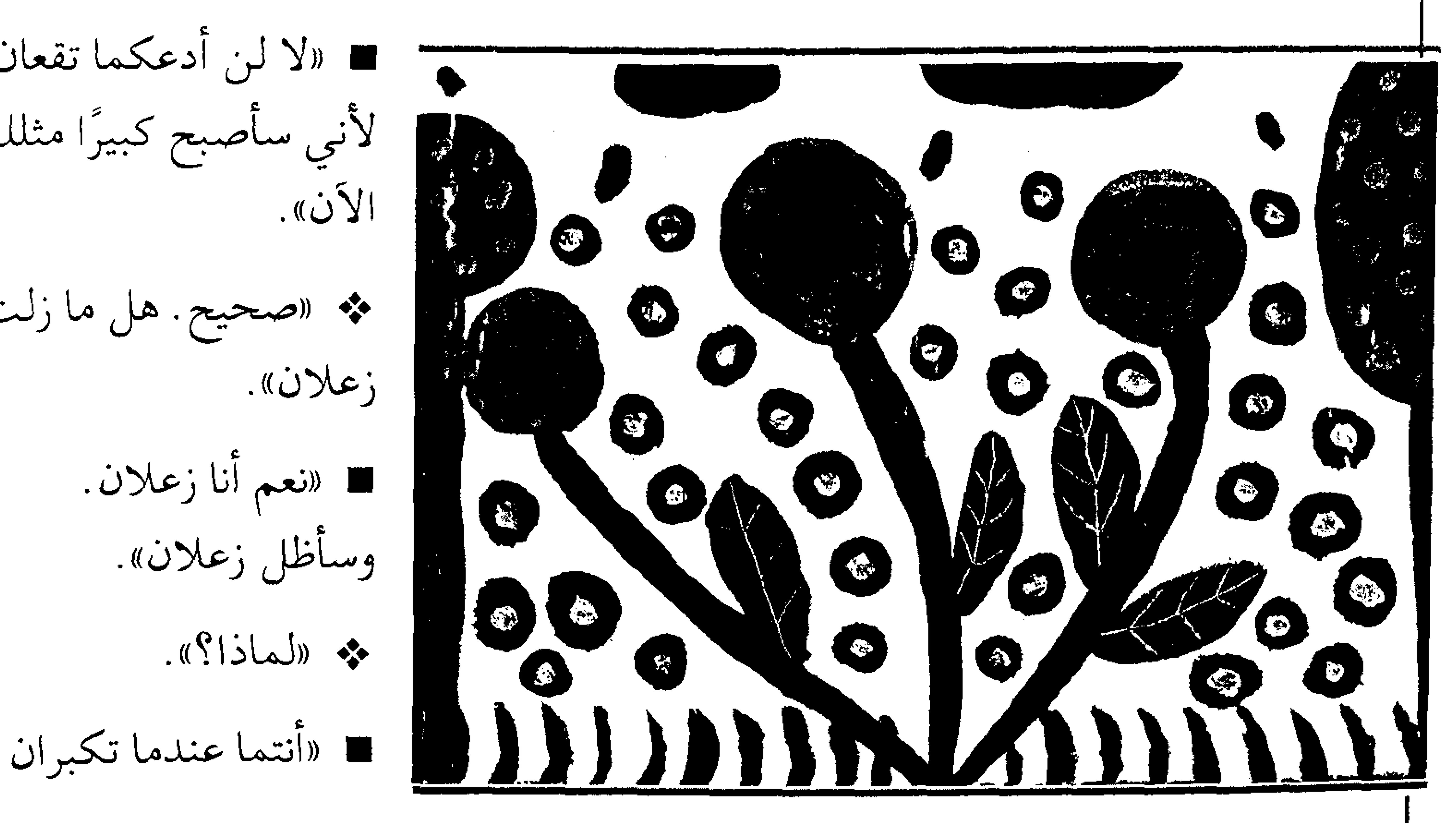
■ «لا لن أدعكما تقعان، لأني سأصبح كبيرًا مثلك الآن».

❖ «صحيح. هل ما زلت زعلان».

■ «نعم أنا زعلان. وسأظل زعلان».

❖ «لماذا؟».

■ «أنتما عندما تكبران



كثيرًا كثيرًا ستموتان وأنا سأبقى وحيدًا».

❖ «يا بابا، يجب ألاّ تفكر هكذا».

قال وصوته ما زال على لهجة الأسى نفسها:

■ «أنتما ستموتان وأنا سأكبر وسأصير ختيارًا سأموت مثلكما».

عند هذا الحد، تحايلت على أيمن كي أوقف هذا الحوار وقلت له:

❖ «ما رأيك لو نذهب إلى كورنيش البحر».

قفز أيمن من مكانه فرحًا ناسيًا كل ما قاله قبل قليل.

بيروت في 1986/12/11



دلالات النص

في أسئلة أيمن ثلاثة مفاصل أساسية:

المفصل الأول: خوف أيمن من أن يكبر أبوه وأمه ويصبحا عجوزين.

المفصل الثاني: خوفه من أن يموتا ويبقى هو وحيداً.

المفصل الثالث: خوفه من أن يمر هو أيضاً بالمراحل نفسها التي مر بها والداه فيكبر ويموت مثلهما.

ما يجمع هذه المفاصل هو:

* الخوف.

* الشيخوخة والعجز.

* البقاء وحيداً.

* الموت.

وكأن أيمن في تحديده لهذه المفاصل يرسم دائرة منقطعة غير متجددة أو متصلة للحياة والموت.

وفي ذلك، يبدو أن أيمن يرى - بحسب أسئلته القلقة - أنه في حالة موتنا أنا وأمه سوف تتوقف الحياة ويصبح وحيداً. لم يقدر أو لم يُرِدْ أن يرى ما بعد موت والديه، فعالمه حتى الآن متمحور حولهما، وما بعدهما عدم.

وهو وإن أدرك مفهوم الزمن بشكل واضح رغم صغر سنِه، فإنه لم يستطع تقبل فكرة تجدُد الحياة واستمرارها بجميع صورها حتى من دونه ودون والديه... فمع مرور الزمن سوف يشيخ والداه في الوقت الذي سوف يصبح فيه هو شاباً.

وفي الوقت الذي يموت فيه والداه، سوف يصبح هو عجوزاً ومن ثم سيموت مثلهما.

أمام هذه الأسئلة المشحونة بالقلق ماذا يمكن للأهل أن يفعلوا سوى نقل الحوار باتجاهات أخرى أكثر أملاً وإشراقاً، وهم إن فعلوا ذلك سوف ينجحون، فالأولاد رغم تماديهم أحياناً في طرح أسئلتهم الفلسفية الكبيرة عن الحياة و الموت، والتي قد تخيف الأهل، فإنهم يظلون منشدين إلى الحياة من خلال كلمة، أو جملة، أو حركة أو مشهد حي حولهم.

فجملة «ما رأيك لو نذهب إلى كورنيش البحر» التي وردت في النص، كانت كفيلة بتحويل الحوار الدرامي إلى فرح كبير عند أيمن، فقام من جلسته ناسياً كلَ ما قاله قبل قليل.



ليل وشمس

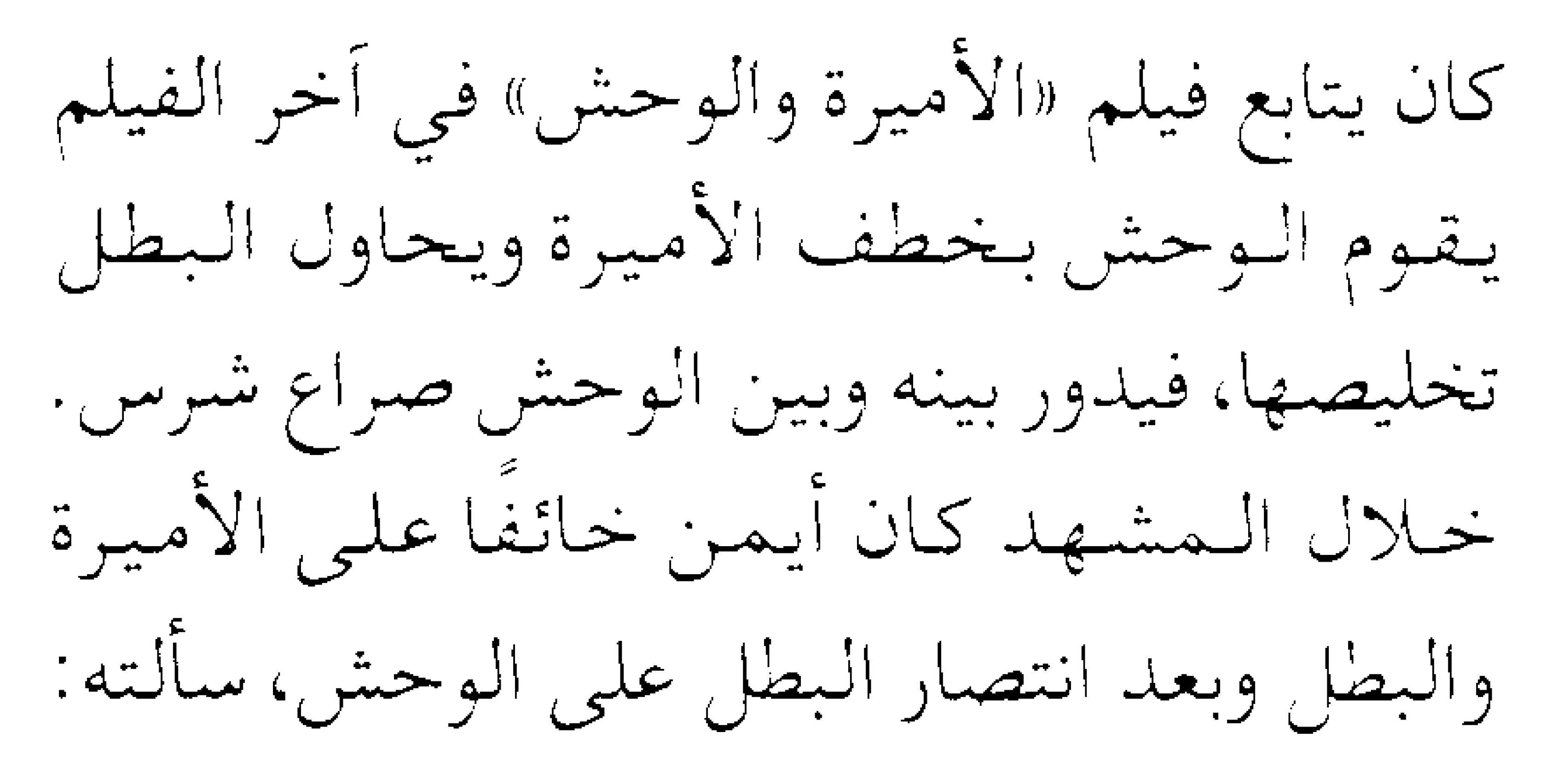
هذا الطفل لا يحب الليل أبدًا.

هذه الليلة. وكل ليلة يسألني:

- بابا، أيمتى رح تطلع الشمس؟

بيروت، 1985/11/25

الأميرة والوحش



كان يتابع فيلم «الأميرة والوحش» في آخر الفيلم يقوم الوحش بخطف الأميرة ويحاول البطل تخليصها، فيدور بينه وبين الوحش صراع شرس. خلال المشهد كان أيمن خائفًا على الأميرة والبطل وبعد انتصار البطل على الوحش، سألته:

■ «أنت مع مَن»؟.

❖ «أنا مع الوحش».



بيروت في 1986/10/1

دلالات النص

يستدعي هذا النص التوقف أمام مسألتين مهمتين:

المسألة الأولى هي تماهي الصغار مع شخصيات الحكاية، أي أن يستبدلوا بها أشخاصهم، وخصوصاً الخيرة منها.

والمسألة الثانية: ميل الصغار إلى تمجيد القوة وذلك ترويحاً لهم عن ضعفهم وضآلة أجسادهم أمام كل ما يحيط بهم من أهل وأناس وأشياء.

من ناحية أولى تماهي أيمن مع شخصية البدلل والأميرة وتمثل شخصيهما

وما خوفه عليهما من الوحش إلا خوف على نفسه، لذا كان راغباً بقوة في أن ينتصر البطل ويخلص الأميرة من الوحش، ففي انتصاره انتصار له وبالتالي انتصار للخير على الشر.

أما من ناحية تمجيده للقوة العاتية فقد تأكد ذلك من خلال قوله «أنا مع الوحش».

ولكن لا بد من لفت الانتباه إلى أن أيمن، لم يقل إنه مع الوحش إلا بعد الاطمئنان على الأميرة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنه، ككل صغير يريد أن يربح الشيئين معاً القوة والخير.



حين أنهدم البيت

بعد ساعات من استراحة جنون قذائف الإخوة الأعداء حول بيتنا. حكى لي أيمن هذه الحكاية:

❖ قال: «كان ياما كان في بنت صغيرة اسمها دانيا، وكانت عايشة مع أبوها محمود وأمها سانيا. دانيا وأبوها محمود راحوا عند الجيران. أم دانيا بقيت بالبيت. دانيا وأبوها ناموا عند الجيران. وضلّت سانيا لحالها. بالليل سمعت طحشة قوية. قامت من التخت وشافت الغول. كان الغول مخبا ورا البرداية، حملت العصاية وضربته فيها. وبعدين شالت الأرض وحطت الغول تحتها. ركضت بسرعة وركّبت الارض مثل ما كانت، وحطّت فوقها خشب وبرداية من حجار وكنباية. الغول جرّب يكسّر الأرض ويطلع، بس

ما قدر، ونزل منو دم ومات، ورجع عاش.

بعدين إجا الحرامي، تخبّا ورا البرداية، أم دانيا ضربتو بالعصاية وحطّته تحت الأرض مع الغول، ورجعت ركّبت الأرض مثل ما كانت. الغول والحرامي صاروا يحكوا مع بعض تحت الأرض.

وبعدين إجت دانيا وأبوها. أبوها ما قدر يقتل الغول والحرامي. الغول والحرامي كسّروا الأرض وهربوا من الجورة. ووقع أبوها لدانيا تحت الأرض. دانيا جابت حبلة ورميتها لأبوها ــ بس ــ هيّ ضلّت ماسكتها ــ بعدين صارت تطلّع أبوها، وكان في حنفية قام علق فيها، دانيا زاحتو عن الحنفية، وكان في حديدة علق فيها، زاحتو عن الحديدة وطلّعتو بسرعة. إجت أمها لدانيا حطّت الأرض مثل ما كانت.

وبعدين انكسرت الأرض والحيطان والباب والشباك ووقع البيت. أم دانيا حطت «الورقة»! على الباب المكسور وراحت مع دانيا وأبوها من بيتن الّي كان بصيدا على طرابلس وعاشوا هونيك.

بعد أن أنهى أيمن حكايته قال لي: «نحنا، يعني أنا وأنت والماما. ما خصنا بدانيا وأبوها وأمها، هنّي راحوا على طرابلس، خلينا نحنا نروح عن جد، مش عن كذب، على قبرص ونعيش ببيت جديد.

سألت : «ولمين منترك بيتنا؟».

قال بحسم: «بيجي واحد تاني وبيقعد فيه».

بيروت، 85/11/24



هذه الدنيا

دخلت إلى غرفته ورأيته شارد الذهن. سألته:

■ «ما بك؟ فيمَ تفكر؟».

❖ «في هذه الدنيا».

فاجأني جوابه وقلت له:

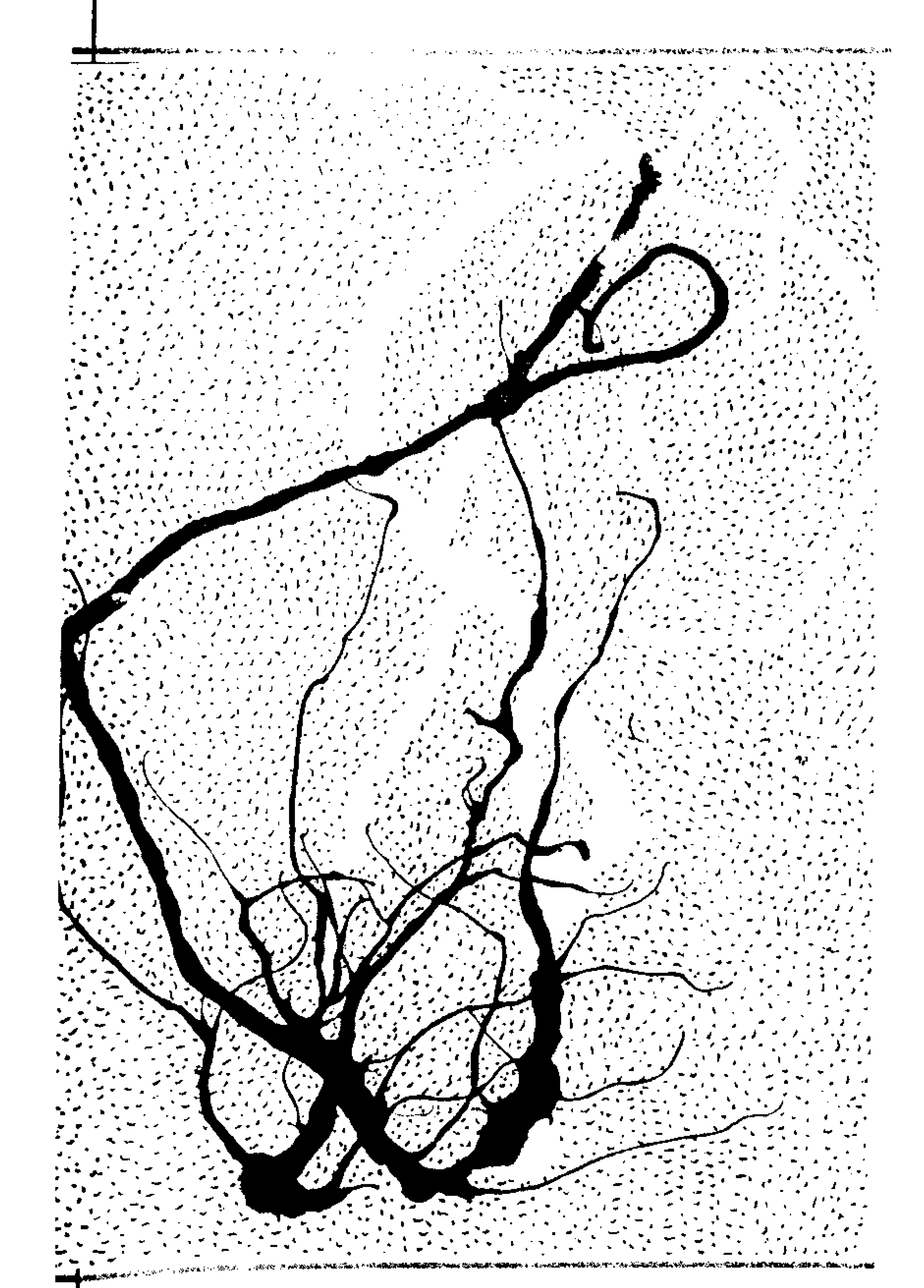
■ «انتظر قليلاً حتى تكبر».

❖ «أريد أن أرتاح من الناس».

■ «لماذا؟».

❖ «لا أعرف. فكّرت في أكثر من
خمسة أماكن لكي أذهب إليها،
ولكنني لم أجد فيها أي مكان مريح».

بيروت، 86/6/3





على السطح

قال: «أنا لا أحب أن أعيش في القرية ولا في بيروت ولا في أي مكان في هذه الدنيا. أنا أحب أن أعيش على السطح! ! ! !».

بيروت في 1986/5/15







دلالات النص

ما الذي استدعى كلمة «السطح» في النص وعلامَ تدل؟

لقد ألغى أيمن كل الأمكنة المتاحة للعيش فيها، فالحرب دائرة في كل مكان، لذلك توهم أن السطح هو المكان الوحيد الآمن له، وأكثر من ذلك، فهذا السطح سوف يسمح له كما يتوهم بإقامة مسافة ما، بينه وبين ما يجري

من تقاتل على الأرض، كما سوف يحقق له رؤية ما يجري، من فوق بتأملٍ أكبر دون المساس به جسدياً على الأقل.

وانطلاقاً من النص، نجد أن أيمن استعمل جملة «ولا في أي مكان آخر في هذه الدنيا»، هو يعتقد أن المكان الذي يعيش فيه هو كل الدنيا، وأن الحرب ليست استثناءً بل قاعدة تعم الدنيا كلها. وهذا ما يزيد من عدم رغبته في العيش في أي مكان آخر والابتعاد إلى حدِ الانفصال... لهذا كان استدعاء كلمة السطح ضرورياً، على الأقل لإقامة التوازن بينه وبين هذا العالم، وربما كان في هذا الاستدعاء حكمة لا واعية عنده ومخرجاً من الوقوع في مطب الجنون، إذ ليس من السهل، ليس على الصغار فحسب، بل على الكبار أيضاً أن يبتدعوا لأنفسهم مرتكزاً يحميهم من قساوة الواقع.



حين انسحبت إسرائيل

هذا النهار كنا نترقّب خبر الانسحاب الإسرائيلي من صيدا وجوارها بين لحظة وأخرى.

هذا النهار، أحسّ أيمن أنّ شيئًا ما مختلفًا يحدث في البيت.

هذا المساء، سمعنا وسمع أيمن خبر الانسحاب الإسرائيلي من صيدا وجوارها، ورأينا الناس على شاشة التلفزيون ترقص في الشوارع.

هذا المساء، ركض أيمن نحو أمه: ــ «ماما .. ماما.. صحيح انسحبت إسرائيل؟ تعي لبوسك.. تعي لبوسك». ثم غمرها بفرح كبير. وهو يقبّلها كان يقول: ــ «يعني صار فينا نطلع عالضيعة».

بيروت، 1985



فليأكلوا الشجر

كان يشاهد فيلمًا وثائقيًا عن صراع الحيوانات في الغابة. وعند انتهاء الشريط قال لي:

■ «أنـــــا لا أحب هـــــذه الحيوانات».

❖ «لماذا؟».

■ «ألم تر، كيف كانت تتصارع؟».

❖ «هذه هي حياة الغابة».

■ «طيب لماذا يأكل بعضها بعضًا؟».

❖ «إذا لم تأكل بعضها فماذا تأكل؟».

■ «لا أعرف. المهم ألاّ تأكل بعضها».

❖ «يجب أن تأكل شيئًا ما حتى تعيش».

■ «طيب. فلتأكل الشجر أو الحشيش».

بيروت في 1986/3/3



دلالات النص

لم يستوعب أيمن كيف تأكل الحيوانات بعضها بعضاً، ولم يستطع أن يجد

لـذلك مـبـرراً مـقـنـعـاً، لـذلك حـدد موقفه منـهـا وقـال: «أنـا لا أحب هـذه الـحيوانات».

أما من نـاحيتي كـأب، لـم أجد أي غرابـة في الأمر، فهذا هو شـأن الطبيـعة.

رفض أيمن هذه المسلّمة وأصر على القول: «المهم أن لا يـأكلوا بـعضهم» وكلمة بـعضهم تـعني الـنوع، فهل يُعقل أن يـأكل الـنوع نوعه (الـحيوان نوعه من الـحيوان، والإنسان أخاه الإنسان).

وفي إجابـة أيمن فليـأكلوا الشجر أو الـحشيش، تـأكيد على وحشية الطبيـعة ومخرج ملائم من قساوتها إلى عـالم أكثر تـآلفاً.



تعاسة

❖ «ليتني يا ماما ما زلت في بطنك».

❋ «لماذا»؟.

❖ «هيك أحسن. أنت كنت بقيت في بطن أمك وأنا في بطنك. وما كنا جئنا إلى هذه الدنيا».

بيروت في 1986/9/19

حكاية حسون



هذا الصباح ركض أيمن نحوي صارخًا:

■ «بابا .. تعال انظر إلى الحسون في القفص».

شدني من يدي، ورأيت الحسون ممددًا في أرض القفص، عيناه مفتوحتان نصف فتحة، ويتنفس بصعوبة كبيرة، نظر أيمن في عيني وكأنه يسألني ماذا به فقلت:

❖ «ربما كان جوعان أو عطشان».

■ «لا ... عنده كل شيء».

❖ «طيب، لماذا يتنفس هكذا؟».

شعرت أن الحسون يعيش آخر دقائق من حياته وكنت لا أريد لأيمن أن يرى مثل هذا المشهد فقلت له:

❖ «هيا انهض واذهب إلى غرفتك».

■ «لا أريد».

❖ «قلت لك اذهب».

■ «بابا، لماذا لا نأخذه عند الحكيم؟».

❖ «لا يوجد هنا حكيم للعصافير يا بابا .. هيا انهض إلى غرفتك».

■ «قلت لك لا أريد، اذهب أنت».

وبقي أيمن قرب القفص أكثر من ساعة، وعيناه معلقتان بالعصفور. وفجأة سمعته يصرخ:

■ «بابا. تعال انظر الحسون، الحسون يتحرك لقد وقف على رجليه».

لم أصدقه، شدني من يدي نحو القفص، وفوجئت بحقيقة كلامه، قال لي:

■ «هل تعرف يا بابا ما هو أجمل شيء في الدنيا الآن».

❖ «ما هو؟».

■ «أن يرجع الحسون ويعيش وينط مثلما كان، انظر كيف فرد جناحيه».

كان يكلمني وعيناه تتوهجان فرحًا قلت له:

❖ «نعم .. ما رأيك لو نطيّره الآن؟».

■ «لا نقدر، إذا طيّرناه هنا، لن يقدر على الطيران بعيدًا وستأكله أول هرة تراه».

عاد أيمن ينظر إلى الحسون بشيء من الأسى، ثم نهض قائلاً:

❖ «عندي فكرة، عندما نذهب إلى القرية، سنأخذه معنا. وهناك سنطيّره في الغابة».

بيروت في 1986/1/1



دلالات النص

يضيء هذا النص مساحة للكلام عن معاني الحياة والموت. وكيف ينظر ويتفاعل أولادنا مع هذه المعاني.

بدايةً، أود الإشارة إلى أننا كثيراً ما نتهيب نحن الأهل والكبار، عموماً من مناقشة أو طرح موضوع الحياة والموت أمام أولادنا، أكان ذلك مباشرة أم من خلال قصة أو ما شابه. وهذا التهيب، لا أرى أي مبرر له على الإطلاق، لأسباب كثيرة. وهذا النص الذي بين أيدينا يوضح لنا جانباً من هذه الأسباب.

من اللحظة الأولى، يوضح النص قوة العلاقة في ما بين الأولاد وكائنات الطبيعة خصوصاً الضعيفة منها - وهنا مثال الحسون - وتتصف هذه العلاقة بالحب والتآلف مع هذه الكائنات...

لما رأى أيمن الحسون وهو يعيش آخر لحظات حياته، قال بصدق وعفوية تامة: لماذا لا نأخذه عند الطبيب؟

وفي الوقت الذي اعتبرتُ فيه أن المسألة منتهية وليس هناك ما يستدعي كل هذا القلق عند أيمن، كان هو مصراً على البقاء قرب الحسون وعيناه معلقتان به لأكثر من ساعة متواصلة إلى أن عاد وحرّك جناحيه.

ربما كان السر في عودة الحياة إلى العصفور من جديد هو هذا التعلق الصادق والحب القوي الذي يكنّه أيمن له. وما يمنع أن يكون العصفور قد أحس بهذا الحب بشكل من الأشكال (مع ما يحمله ذلك من مغامرة في الكلام) فتحامل على موته وقام واقفاً على رجليه.

المهم أنني لم أر أيمن بمثل هذه الفرحة قبلاً، حتى إنه لم يقدر على الانتظار فقام عند أول فرصة وفتح باب القفص للعصفور حتى يطير.

ولا أبالغ في القول إن تحرير أيمن للعصفور، ما هو إلا رغبته المكنونة في التحرر هو أيضاً من أسر البيت والواقع الذي يعيشه، وهو هنا واقع الحرب الأهلية بكل ما فيها من رعبٍ وأسر.

أيـن كنـتِ؟

خرجت أمه لتتسوق بعض الحاجيات، في تلك الأثناء عاد أيمن من عند صديقه في المبنى نفسه، وطرق الباب، لكن أحدًا لم يجب.

صار يبكي. سمعه بعض الجيران فنزلوا مستغربين قال لهم: «أمي في البيت تولِد، ولا تقدر أن تفتح لي».

طرق الجيران الباب، ولكن دون جدوى. نادوا على جدّته في المبنى فأتت على عجلة وطرقت الباب فلم يرد أحد. عند ذلك فقد أيمن السيطرة على نفسه، وصار يركض من بعيد باتجاه باب البيت ويضربه بقدمه وهو يبكي ويصرخ.

■ ماما عم بتخلّف وما قادرة تفتح. بعد لحظات خرجت أمه من المصعد فرآها، ركض باتجاهها يبكي ويقول: «أين كنتِ. أين كنتِ. وارتمى في حضنها متهاويًا».

بيروت في 1986/7/22





ثلاث حكايات

أنا وامرأتي، كنا في حاجة إلى الانفراد. لكن أيمن لم ينم حتى الساعة. اتفقنا للتحايل عليه. قلت له وكان ممددًا بجانبي على كنبة في الصالون: «نم يا أيمن غدًا عندك مدرسة».

■ قال: «إحك لي حكاية».

❖ قلت: «سأحكي لك حكاية الولد الذي لا ينام. شرط أن تنام».

■ كان ياما كان بقديم الزمان كان في ولد اسمه محمود. محمود ولد لا ينام أبدًا، لا في الليل ولا في النهار. وظلّ هكذا مدة شهر كامل حتى مرض. أخذته أمه عند الطبيب. قال الطبيب لمحمود: دواؤك الوحيد هو النوم. نعم يجب أن تنام يا محمود

حتى تصحّ. عاد محمود مع أمه إلى البيت، وفي تمام الساعة السابعة مساء نام محمود. عند الصباح فتح عينيه ووجد نفسه نشيطًا وقد صحّ تمامًا.

وتوتا توتا خلصت الحتوتا، يلاّ يا أيمن صار لازم تنام».

لكن أيمن بدل أن ينام اعتدل في جلسته وقال لي: «أنا أحكي لك حكاية».

❖ قلت: «طيب حكاية واحدة وبتنام».

■ قال: «كان يا ما كان بقديم الزمان كان في ولد صغير اسمه رامي. رامي لا ينام أبدًا أبدًا أخذته أمه عند الحكيم. الحكيم ضربه إبرة. وقال له: «لازم تنام يا رامي». رامي رجع مع أمه على البيت، لكن ما نام، ظل مفتح العينين طول الليل. ضربته أمه، وثاني يوم أخذته عند الحكيم. الحكيم ضربه إبرة كبيرة وقال: «لازم تنام يا رامي». لكن رامي ما نام. الحكيم جاب عصاية كبيرة وصار يضرب رامي ويقول: «هلق لازم تنام، هلق لازم تنام». رامي ما قدر ينام. الحكيم صار يصرّخ وبعدين حط رامي بالحبس وسكّر الباب عليه، وورا الباب ولّع نار وحط سكينة حتى ما يطلع رامي أبدًا أبدًا».

رامي صار يضرب الباب بيديه. لكن الباب ما انكسر وقعت البرداية والحديدة على رامي. رامي وقع عالأرض. فات الحكيم وحط الشباك والشجرة فوق رامي وسكّر الباب عليه. وبعدين زعل رامي. الحكيم كسر الباب وطلّع رامي وأخذه على البيت. ونام رامي. وتوتا توتا خلصت الحتوتا».

وحتى لا أنسى سجّلت بشكل سريع وعشوائي تفاصيل حكاية أيمن وناقشتها مع امرأتي. لاحظ أيمن الأمر فقال: «عندي حكاية ثانية».

❖ قلت: «لا... . يجب أن تنام».

■ قال: «بابا حكاية واحدة وبس».

❖ وأصررت على موقفي. لكن أيمن تجاهل إصراري وراح يقول: «كان يا ما كان في ولدين. رامي ومحمود. ما كانوا يناموا أبدًا أبدًا. أخدتهن أمهم عند الحكيم ضربن إبرة وحطن بالحبس وسكّر الباب منيح. رامي ومحمود كسروا الباب وهربوا على البيت. إجا الحكيم وحط إيدو على صدرن وصار يشد ويشد ويشد وبعدين أخدن على الحبس. كان باب الحبس قوي. بعدين فات الحرامي على الحبس وقال: «إذا ما نمتو رح آكلكن».

رامي ومحمود ما قدرو ينامو. الحرامي أكلهن، وإجا الصياد، وقبل ما يقوّص على الحرامي. الحرامي أكلو وأكل البارودة. وفاتت الناس عالحبس صغار وكبار. الحرامي فتح تمو الكبير. وصار ياكل الناس، وظل ياكل وياكل وياكل حتى أكلهن كلهن. وبعدين فات الحكيم على الحبس وباس الحرامي. وتوتا توتا خلصت الحتوتا».

بيروت، 85/2/3

دلالات النص

إن الدلالة واضحة، في الحكاية الأولى التي قمت بسردها. وهي تحمل رسالة معيّنة لأيمن مفادها التالي:

حتى يتخلص بطل القصة «محمود» من مرضه عليه أن ينام وهذه دعوة لأيمن حتى ينام ويتخلص من قلقه.

لقد حاولت في هذه الحكاية أن ألطِف من إجراءات الطبيب الذي اكتفى

بإسداء النصيحة لأيمن.

في المقابل واجهني أيمن بحكاية أخرى مناقضة لحكايتي تماماً، وفيها يتضح الفرق بين حكايات الأهل والكبار عموماً، الهادفة دائماً إلى توصيل رسالة ما للصغار، تكون عوناً لهم في عملية تكيفهم مع الحياة بكل ما فيها، وبين حكايات الصغار المتفلتة من أي ضوابط مجتمعية أو تربوية. وهاهو أيمن في حكايته الأولى والثانية، يصور العلاقة بين الصغار والطبيب دون أي تزيين أو تلطيف، ويجعل من هذا الطبيب آمر سجن عنيف السلوك، يمارس مختلف أنواع التعذيب على بطل القصة رامي (وأحضر الطبيب عصا كبيرة وراح يضرب بها رامي) ثم وضعه في السجن وأضرم النار ووضع سكيناً وراء الباب حتى لا يخرج رامي من سجنه أبداً.

من المؤكد أن تصوير أيمن للطبيب على هذا الشكل، فيه مبالغة كبيرة، لكن هذا التصوير ما كان ليتم لولا أن الأولاد عموماً يشعرون، حقيقة، بقساوة وعنف إجراءات الطبيب خلال المعاينة لهم (الضغط على البطن، الأذنين، العينين، فتح الفم بالقوة، هذا عدا عن استخدام بعض الأدوات الحادة).

وقد جسد أيمن في الحكاية معاناة الأولاد، وهم يجلسون على كرسي الطبيب، تجسيداً حسياً دقيقاً. وما سجن رامي، بطل القصة، إلا مقاربة لتقييده على كرسي الطبيب. وهاهو أيمن يصف حالة رامي في «السجن الكرسي». (راح رامي يضرب باب السجن بيديه)، لقد فعل ذلك،طبعاً، في محاولة منه للتخلص من بين يدي الطبيب (لكن الباب لم ينكسر).

مقاربة الحكاية بإجراءات الطبيب

حكاية أيمن	إجراءات الطبيب والدلالة الرمزية
١- راح رامي يضرب باب السجن بيديه	رامي، يحاول عبثاً التخلص من بين يدي الطبيب
٢- لكن الباب لم ينكسر	لم يستطع رامي الإفلات من يدي الطبيب
٣- وقعت البرداية (الستارة) والحديدة على رامي، ووقع على الأرض	بانتهاء المعاينة العنيفة، كان رامي قد تلاشى بين يدي الطبيب (وقع على الأرض)
٤- دخل الحكيم وحط الشباك والشجرة فوق رامي وأقفل الباب عليه	انتصار الطبيب وإحساس رامي بالهزيمة والانغلاق على نفسه

لاحظوا الفرق بين نهاية حكاية أيمن ونهاية حكايتي كوالد له: في حكايتي نام أيمن هانئاً مستريحاً نتيجة سماعه نصيحة الطبيب. وفي حكاية أيمن، لم يخرج رامي من عند الطبيب إلا متلاشياً مهدوداً من العنف الذي مورس عليه.

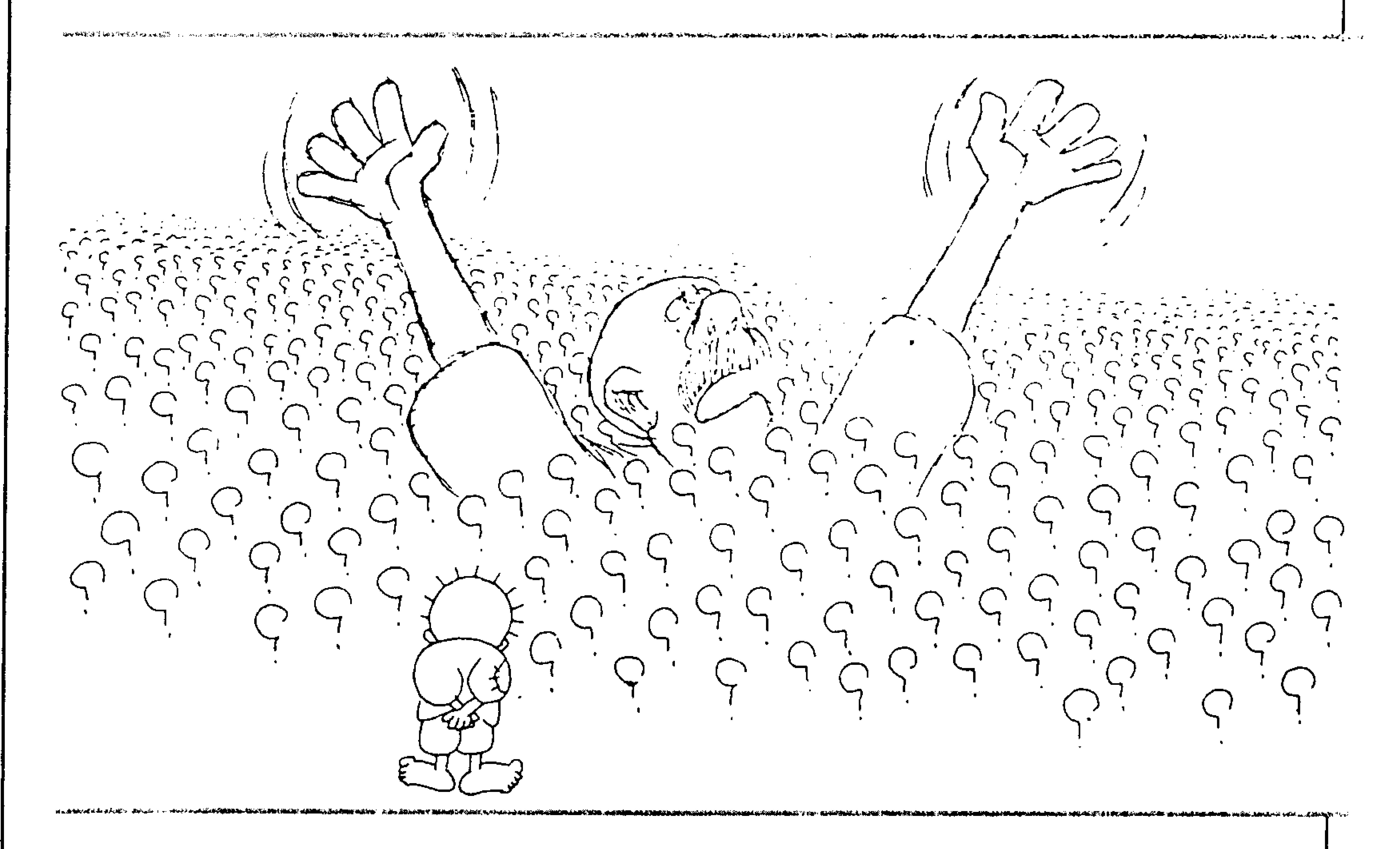
في الحكاية الثانية وصل أيمن في مبالغته إلى الحد الأقصى، بحيث أصبح الطبيب لصاً وغولاً يأكل الناس صغاراً وكباراً.

بين حكايتي وحكاية أيمن عن الطبيب هوة كبيرة، لا أعرف إن كنا نستطيع ردمها دون التأمل ملياً بما يقوله الصغار أنفسهم في مختلف مجالات تأثرهم بالحياة.



كاريكاتور

كان بجانبي وكنت أتصفّح كتاب ناجي العلي كاريكاتور. وصلت إلى صفحة فيها رجل يغرق في بحر من علامات الاستفهام.



■ قال: «يا حرام. شوف كيف عم يغرق؟».

❖ سألته: «كيف ؟».

■ قال: «بالمسامير».

دلّ على علامات الاستفهام وتابع: «هلق بيوصل لتحت البحر وبموت».

❖ سألته: «بتعرف مين هيدا؟» أشرت إلى الولد في أسفل الصورة.

■ قال وكأنه يعرفه من زمان: «هيدا شَكْوَكْ ».

❖ ابتسمت قائلاً: «ليش سميته شَكْوَكْ ».

■ قال: «يه ... شوف شعره كيف».

❖ سألته: «طيب الرجال ما قدر يطلع من البحر؟».

■ قال: «الرجال صار يسبح ويسبح يسبح ويسبح ويصرخ ساعدوني ساعدوني. بس ما حدا سمعو».

❖ قلت: «ليش شَكْوَكْ ما ساعدو؟».

■ قال: «هيدا مش أبوه».

❖ سألته باستغراب: «لازم يكون أبوه حتى يساعدو؟».

■ قال: «طيب مثل ما بدك. شَكْوَكْ جرب يساعد الرجّال. شدّو من إيدو، بس الرجّال كان ثقيل، قام غرق معو ونزلو لتحت البحر وماتو».

❖ قلت: «ليش موّتهن يا بابا؟».

■ قال: «مش أنا موّتهن. هيدا البحر كان قوي وكبير».

بيروت، 1985/12/14



ماما وبابا

طوال هذا اليوم أصر على مناداتي ماما. وعلى مناداة أمه بابا.

بيروت، 1984/10/25





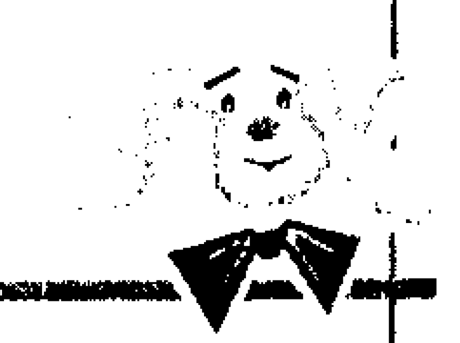
تلخيص

أيمن يعرف حكاية ليلى والذئب جيدًا. قلت له: «احكِ لي الحكاية».

■ قال: «راحت ليلى عند ستها، شافت الذئب بالغابة، الذئب سبقها وأكل ستها، دقت ليلى الباب. قالت ستها الذئب: «الباب مفتوح». قالت ليلى: «ليش عيونك كبيرة، ليش منخارك كبير، ليش إيديك كبيرة، ليش سنانك كبار». وهجم الذئب وأكلها. اجا الصياد وقوص الذئب وطلّع ليلى من بطنه».

بيروت، 1984/9/23





دلالات النص

لخّص أيمن حكاية «ليلى والذئب» بكلمات قليلة، ودلالة ذلك قدرة الأطفال عموماً على طرح ما هو زائد على النص، فهم إجمالاً، لا يعمدون إلى الوصف ولا إلى تزويق الكلام وكثيراً ما يوصلون رسائلهم من خلال كلمة أو حركة أو إيماءة بسيطة منهم. لكن دلالة النص الأساسية لا تكمن هنا فقط، إنها

تكمن في جملة أيمن «قالت ستها (جدتها) الذئب». لقد جعل أيمن من الجدة والذئب واحداً.

لماذا وحّد أيمن بين الشخصيتين «الجدة والذئب»؟ هل يمكن للجدة أن تكون الذئب بذاته؟ يبدو أن هذا ما يشير إليه أيمن؟ فالذئب في الحكاية الأساسية، يتودد لليلى محاولاً إظهار كل الطيبة والبراءة والوداعة تماماً كما الجدة في علاقتها مع أولاد أولادها... لكن الذئب سرعان ما يكشف عن حقيقته العدوانية.

هذه التحولات السريعة في شخصية الذئب هي التي دفعت أيمن للقول «قالت جدتها الذئب» وهذه التحولات تتوجه أساساً إلى الانفعالات الداخلية لدى الأطفال، فكل طفل يتساءل: هل يمكن للذئب أن يقدم الورد لليلى ويتكلم معها بكل هذه الطيبة؟ تماماً كما جدته في الواقع عندما تروي له الحكايات.

يمكن القول إن هذا الذئبِ الطيب لا يثير أي خوف بالنسبة إلى الطفل، كما هي الحال مع جدته التي لا تشكل أي خوف بالنسبة إليه، إلا إذا ارتكب عملاً طائشاً أو عدوانياً، فهي تعاقبه عليه وتعامله معاملة حسنة، إذا أحسن التصرف والسلوك. هذا التصرف إزاء الطفل يتساوى به الأب والأم والجدة والعم وكل من هو أكبر منه وله سلطة عليه.

إلا أن ما لا يستطيع الطفل أن يفهمه، كيف يمكن للكائن البشري أن يتحول من حسن إلى قبيح بسرعة البرق، مثل تحوُّل الذئب بسرعة إلى شخصية الجدة... وهنا يكمن التناقض بشخصية الجدة، كيف كانت قبل قليل طيبة وكيف تحولت فجأة إلى عدوانية عند أقل خطأ يصدر عن طفلها الذي تحبه.

إن مثل هذه التحولات تسمح للطفل بأن يقوم بعملية اختيار وبنوع من التقييم، وهو، أن هذه الجدة التي تعاقبني هي غير الجدة التي تحبني، فيتصور أنها بصورتين، صورة الجدة الطيبة، وصورة الجدة ـ الذئب الشريرة، وهذا ما يسمح له أن يحل التناقض الأساسي الذي يواجهه فعلاً، وهو ليس عاجزاً ذهنياً عن حله. ويمكن للطفل أن يعتبر بعد ذلك، أن لكل شخص صورتين، صورة طيبة وصورة شريرة، وهذا بالتحديد ما دفع أيمن للمزج بين صورتَيِ الجدة والذئب. دون أن يُسقط من الحسبان المسافة والاختلاف بين الصورتين.

تجدر الإشارة أخيراً إلى أن جملة صغيرة مثل جملة أيمن في حكايته «قالت ستها (جدتها) الذئب» فتحت الباب واسعاً أمام كل هذه الدلالات. فكيف إذن، ونحن أمام أسئلة وتعبيرات أولادنا التي لا حصر لها. إن ذلك يدفعنا للتمعُن جلياً في هذه الأسئلة والتعبيرات من أجل نمو أفضل لأولادنا.

أكبر من....



العشرة أيام الماضية «هلكني» أيمن وهو يدور حول سؤال واحد.

■ «بابا مين أكبر أنا أو أنت؟ مين أكبر أنت أو عمو رياض مين أكبر أنا أو طارق؟».

هذه الليلة، حين اندسّ معي تحت الحرام، حكيت له هذه الحكاية.

«كان يا ما كان، كان في ولد صغير اسمه سامي، سامي كان يسأل أباه كل يوم:

ـ «بابا مين أكبر أنا أو طارق. طارق أو نبيلة، نبيلة أو أنت. أنت أو أنا؟»

وكان سامي يتمنى دائمًا أن يصير كبيرًا. لكن أمنيته لم تتحقق ولا مرة.

في يوم جلس حزينًا. رآه «قرن الفول». سأله: «ليش زعلان يا سامي؟».

قال سامي: «لأنني صغير وبحب صير كبير».

قال قرن الفول: «بسيطة، تعا وكول حبة من حباتي». (اقترب سامي وأكل حبة من حبات قرن الفول، فجأة كبر سامي وكبر حتى صار أكبر من أكبر بناية. ثم، كبر وكبر حتى صار أكبر من أكبر جبل.

وصار سامي يرى البيوت والناس من تحته صغيرة جدًا جدًا . وظل سامي يكبر ويكبر حتى وصل إلى الغيم. ومن فوق نظر إلى الأرض والناس فلم يرَ شيئًا.

قال: «هلق صرت أكبر من بابا ونبيلة وسيمون وعمو رياض، صرت أكبر من كل الناس».

راح يلعب بين الغيمات. ولكن بعد ساعة تذكر سامي نبيلة وسيمون وطارق. تذكر أمه وأباه. فتش عنهم جميعًا لكنه لم ير سوى الغيم الأبيض والأسود. جرّب أن ينزل إليهم، لم يقدر. صار يبكي رأته غيمة صغيرة فسألته: «ليش عم تبكي يا ولد؟».

قال سامي: «بدي إلعب مع رفقاتي».

سألته الغيمة: «وين رفقاتك؟».

قال: «ما بعرف».

سألته: «بتحب تشوفن ؟».

قال: «إي».

قالت: «بس إذا نزلت بتصير صغير».

سألها: «ما بقدر شوفن وإلعب معن أنا وكبير؟».

قالت: «لا».

قال: «طيب معليش خليني أصغر شوي، إي، ما كثير شوي».

قالت الغيمة: «تعال تبلّل».

تبلّل سامي بماء الغيمة وبعد قليل.

صار يصغر حتى أصبح أكبر من أكبر جبل.

صار يصغر ويصغر حتى أصبح أكبر من أكبر بناية.

صار يصغر ويصغر حتى أصبح...

توقفت هنا عن الكلام وسألت أيمن: «حتى صار قديش؟»

قال أيمن: «حتى صار أكبر من بيو بشوي».

• •

قلت: «صار سامي يصغر ويصغر حتى صار أكبر من بيو بشوي».

سكتُّ ثم سألت أيمن: «بتعرف شو صار بعدين؟».

قال أيمن: «صار سامي يلعب مع رفقاتو».

قلت: «جرب سامي يلعب مع رفقاتو. بس ما قدر».

سأل أيمن: «ليش؟».

قلت: «لأنه كان قد الرِّجال، وأكبر من رفقاتو بكثير».

قال بحماس: «طيب خليّه يصير قدهن».

قلت: «راح سامي عند قرن الفول وأكل حبة من حباته حتى صار قد رفقاتو الصغار. ومن وقتها صار يلعب معهن كل يوم. وتوتا توتا خلصت الحتوتا».

قبل أن يغمض أيمن عينيه بقليل قال لي: «يا ريت يا بابا بقدر أكبر بسرعة أنا ورفقاتي مع بعض».

عندما نام أيمن انقبض قلبي
أحسست أني بحكايتي
حبست رغبته في أن يكبر

بيروت، 1984/11/15



أنا قبضاي

وقفت معه في وسط مدينة ملاهي بيروت، أخذته الرسوم المنتشرة فوق مغارة الأشباح. هنا رجل بأنياب تقطر دمًا. فوق باب المغارة مباشرة هيكل عظمي بين فكيه أخطبوط بحري. هناك في الوسط تداخلت الرسوم. رجل على هيئة وطواط يصارع ماردًا من دخان. ساحرة تمتطي مكنسة قش وتطير.

جرني أيمن من يدي باتجاه المغارة . أحسست به خائفًا.

قال : «تعا نفوت».

قلت: «لأ .. جوا بخوّف».

قال : «أنا ما بخاف».



جلسنا في عربة صغيرة. تحركت بنا إلى داخل المغارة المظلمة من باب صغير. كانت العربة تسير على سكة متعرجة بين هياكل عظمية تنحني علينا حتى تكاد تلامسنا. وحيوانات مخيفة، وقراصنة تحمل بلطات، تتحرك في مكانها، تنحني فوقنا وتختفي بسرعة. وأضواء ملونة تضيء في الظلمة للحظات لتكشف عن مشهد مرعب جديد.

كان أيمن يمسك بي وينفعل مع كل حدث غير متوقع انفعالاً مكبوتًا، إنه لا يريد أن يشعرني أنه خائف.

خرجنا من المغارة المظلمة إلى الضوء.

ما إن لامست قدما أيمن أرض مدينة الملاهي وانخرط بين الناس حتى راح يقفز في مكانه بنشوة المنتصر ويردد بصوت عال:

ـ «أنا قبضاي، أنا قبضاي، أنا قبضاي". كأنه يريد تأكيد شيء ما لي أو لنفسه.

بيروت، 1984/12/21



دلالات النص

يواجه أولادنا في حياتهم اليومية، كثيراً من المواقف التي تُشعرهم بالخوف، وتختلف نسبة أو حدة هذا الشعور بين طفل وآخر تبعاً للمرحلة العمرية والنمو الذهني لكل طفل بذاته.

في هذا النص دلالة واضحة وهي محاولة أيمن لاختبار قدرته على مواجهة الخوف، فهو غامر ودخل إلى مغارة الأشباح وعمره لم يجاوز بعد الثلاث سنوات، وما مغامرته هذه إلا تأكيد على ذلك.

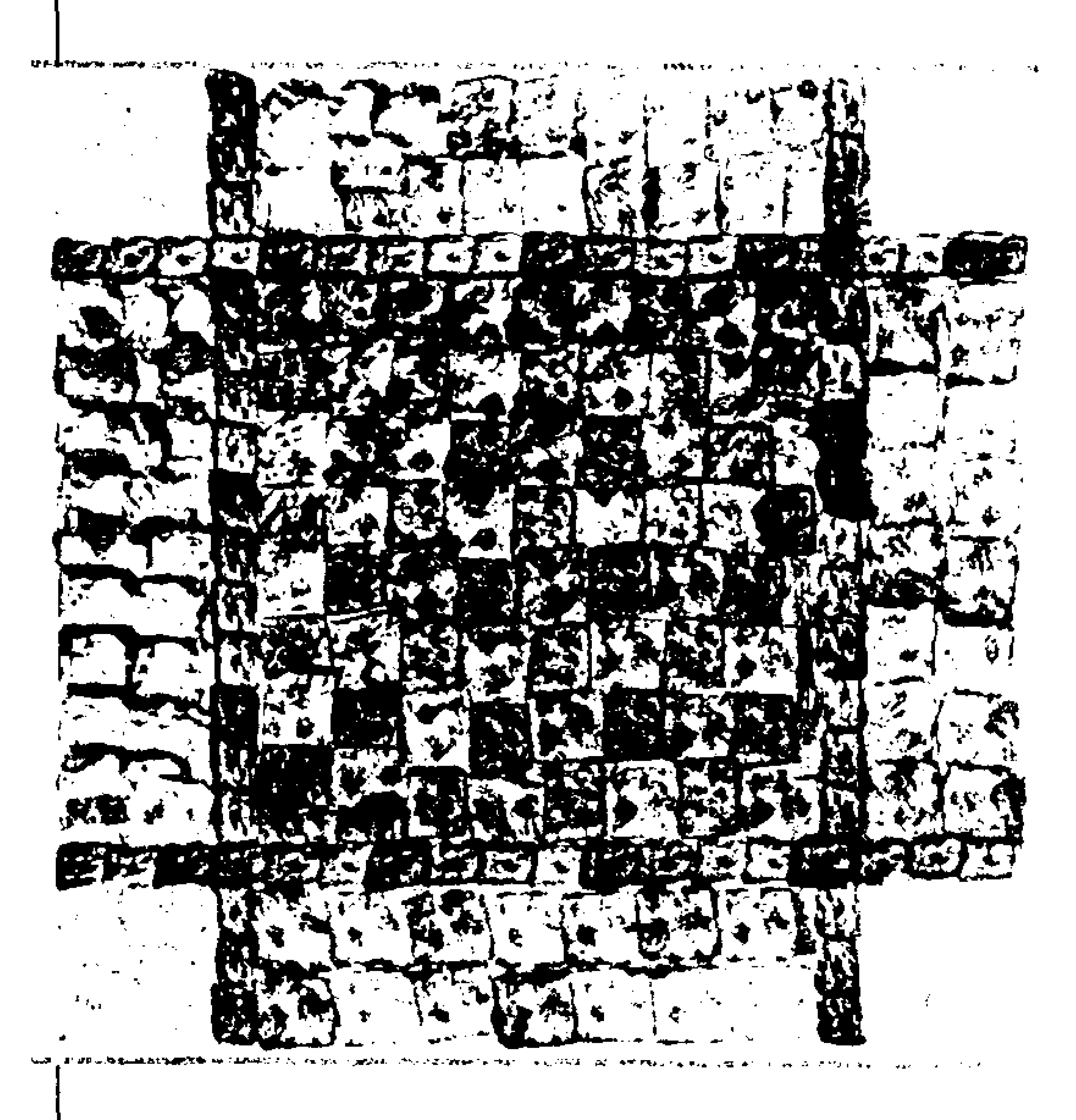
إن موقف الأهل إجمالاً، يتصف بالحذر إزاء تعرض أولادهم للخوف. وانطلاقاً من ذلك يحاولون حمايتهم وإبعادهم عن كل ما يمكن أن يوترهم. وما موقفي المتريث للدخول إلى المغارة مع أيمن، إلا تدليل على ذلك.

لكن إصرار أيمن وقوله «أنا لا أخاف» خفف من قلقي عليه، وتمّت المغامرة.

إذن، يشير النص بوضوح إلى رغبة الأولاد في مواجهة خوفهم بهدف تخطيه، وما على الأهل إلا مجاراة هذه الرغبة وتحقيقها وإن بجرعات محسوبة.



رمـــــل



كل يوم يعود أيمن من المدرسة. يخلع حذاءه على البلكون. تساعده أمه وتسأله بانفعال: ـ «في باجريك رمل؟»

يجيب أيمن: ـ «أي».

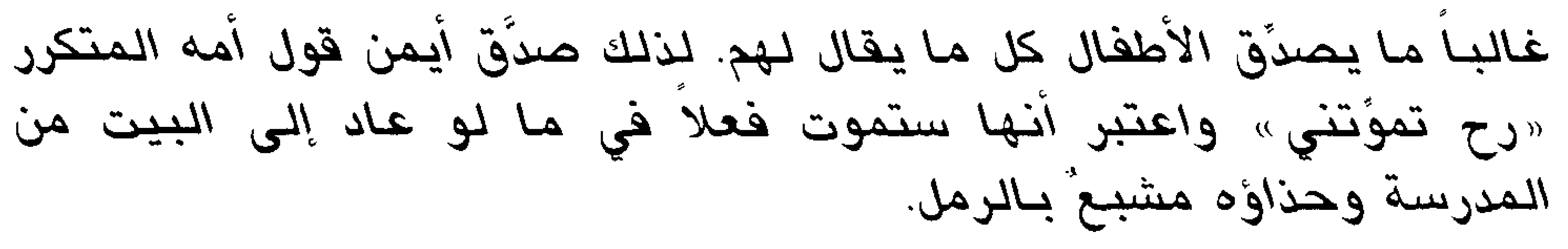
تقول أمه: (مغتاظة) ـ «رح تموِّتني».

تكررت هذه الحالة وتكرر الحوار نفسه مرات عديدة.

في مرة وهي تسأله. ـ «في باجريك رمل؟».

أجاب أيمن: ـ «أي، بس ما تموتي، أي ماما ما تموتي».

بيروت، 1985/2/1



دلالات النص

غالباً ما يصدِّق الأطفال كل ما يقال لهم. لذلك صدَّق أيمن قول أمه المتكرر «رح تموِّتني» واعتبر أنها ستموت فعلاً في ما لو عاد إلى البيت من المدرسة وحذاؤه مشبعٌ بالرمل.

ماذا يفعل أيمن إزاء ذلك؟

فهو من جهة غير قادر على الإيفاء بمتطلبات أمه، لاعتبارات خارجة عن إرادته.

ومن جهة ثانية، لا يريدها أن تموت. وهذا ما دفعه للقول «إي بس ما تموتي... إي يا ماما ما تموتي». وهذه الدلالة تدفعنا إلى التنبُّه إلى أثر الكلام على أطفالنا. فقليلاً ما نتمعن بهذا الكلام الذي قد يحفر عميقاً في نفوس أولادنا دون أن نعي خطورة ذلك.

تحبني وتحبه!

■ «بابا. اسمع، فرح رفيقتي بالمدرسة تحبني، وعدنان لا يحبني، وفرح تحبه.

كيف تحبُّه وهو لا يحبني؟».

❖ «بسيطة، هي تحبكما أنتما الاثنين».

■ «أنت لم تفهم عليّ».

❖ «مثلما تريد. أنت ما رأيك؟».

■ «أنا أقول. إذا كانت فرح تحبني يجب ألاّ تحب الذي لا يحبني».

بيروت في 1985/3/8





...أتزوج أمي

كان يبني بيتًا من مجموعة قطع بلاستيكية حين سألني: «بابا فيني أتجوز أمي». فاجأني وقلت بشيء من التأكيد: ـ «لأ..».

سأل: «ليش؟».



قلت: «أمك كبيرة وأنت صغير».

سأل: «طيب فيني أتجوز سيمون؟».

ضحكت، ضحك معي، سأل: «ليش؟»

قلت: «سيمون صبي وأنت لازم تتزوج بنت».

قال: «طيب خليني أتزوج أمي».

قلت: «لأ.. قلتلك أمك كبيرة».

قال: «معليش.. بدي أتجوز أمي الكبيرة».

قلت: «اصطفل». وتابعت القراءة في كتاب كان في يدي.

أحسّ بأنني لن أعطيه جوابًا شافيًا لسؤاله فتوجه نحو أمه يسألها: ـ «ماما فيني أتجوزك».

أجابته وهي تبتسم ابتسامة صغيرة: ـ «لأ... أنا متزوجة البابا حسن». وفي كلّ حال، أنت ولدي والولد لا يستطيع أن يتزوج أمه».

وحين تأكد لأيمن أن رغبته غير قابلة للتحقيق لمعت عيناه بدمع صامت ثم قال: ـ «لأ... ما تتجوزيه.. اتجوزيني أنا، أنا وبس، فهمتِ». ثم طفح الدمع على خديه وأخفى وجهه بزاوية كنبة الصالون».

بيروت، 1985/6/8



أولاد الناطور

بعد أن أشار إليهم من البلكون أن يصعدوا، فتح لهم الباب (كانوا أكثر من سبعة). طحشوا إلى غرفة أيمن بعنف. لم يتركوا لعبة من ألعابه إلا واختبروها ثم ألقوها يفتشون عن لعبة أخرى بشكل لفت انتباهي.

كان أيمن يوزّع عليهم الألعاب، يدلّهم على كيفية استعمالها. يأتي إليهم بكتبه يتصفحها معهم. يدعوهم لركوب السيارة والبسكلات بكل طيبة خاطر.

رأيته يدور بين الأولاد كأم العروس، يؤدي مهمته هذه بسعادة كبيرة.

عادت أمه من عند الجيران رأت البيت «يمشي» زعقت بأيمن، طردت الأولاد جميعًا. بكى أيمن.

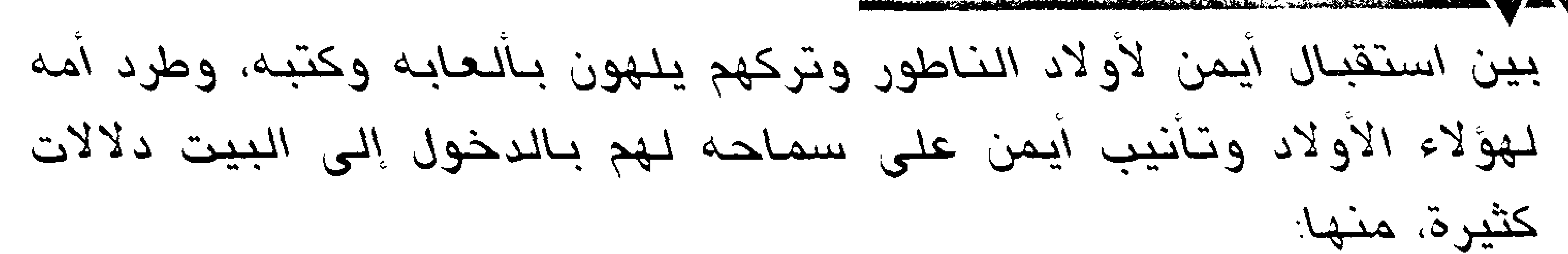
وبينما أمه ترتب ما طرأ على البيت من فوضى، قالت: «ولَوْ ما كنت شايفهم؟».

قلت: «لَوْ شفتِ أيمن كيف كان مبسوط ما كنت زعلتِ».

بينما كنا في حوارنا، كان أيمن واقفًا على البلكون يراقب أولاد الناطور الذين راحوا ينطنطون في فسحة صغيرة خلف البناية.

كان يتابع لهوَهُم بحزن.

بيروت، 1985/5/9



دلالات النص

بين استقبال أيمن لأولاد الناطور وتركهم يلهون بألعابه وكتبه، وطرد أمه لهؤلاء الأولاد وتأنيب أيمن على سماحه لهم بالدخول إلى البيت دلالات كثيرة، منها:

* حاجة أيمن الوحيد إلى الأصدقاء وهي حاجة ملحة في مثل عمره.

* عدم تقدير الأهل أحياناً لحاجات أولادهم وبالتالي قمع بعض رغباتهم بشيء من القسوة (طرد الأولاد وتأنيب أيمن).

* لم تعد الألعاب بالنسبة إلى أيمن من أولوياته، لقد سمح للأولاد بتكسير بعضها، دون أن يعير ذلك أي اهتمام... الأولوية كانت حاجته إلى أن يكون مع أحد.

* نظرة أيمن الحزينة وهو يراقب أولاد الناطور، بعد طردهم، وهم يلعبون في فرح خلف المبنى، وفي هذه النظرة رغبة أكيدة في أن يكون بينهم، لكنه يعي تماماً أن ذلك غير ممكن...

* يشير النص بوضوح، إلى أن أيمن غير مسموح له باللعب خارج أسوار البيت، وفي ذلك دلالة على خوفنا غير المبرر من اختلاطه بغيره من الأولاد، خصوصاً إذا كانوا من غير بيئته الاجتماعية.



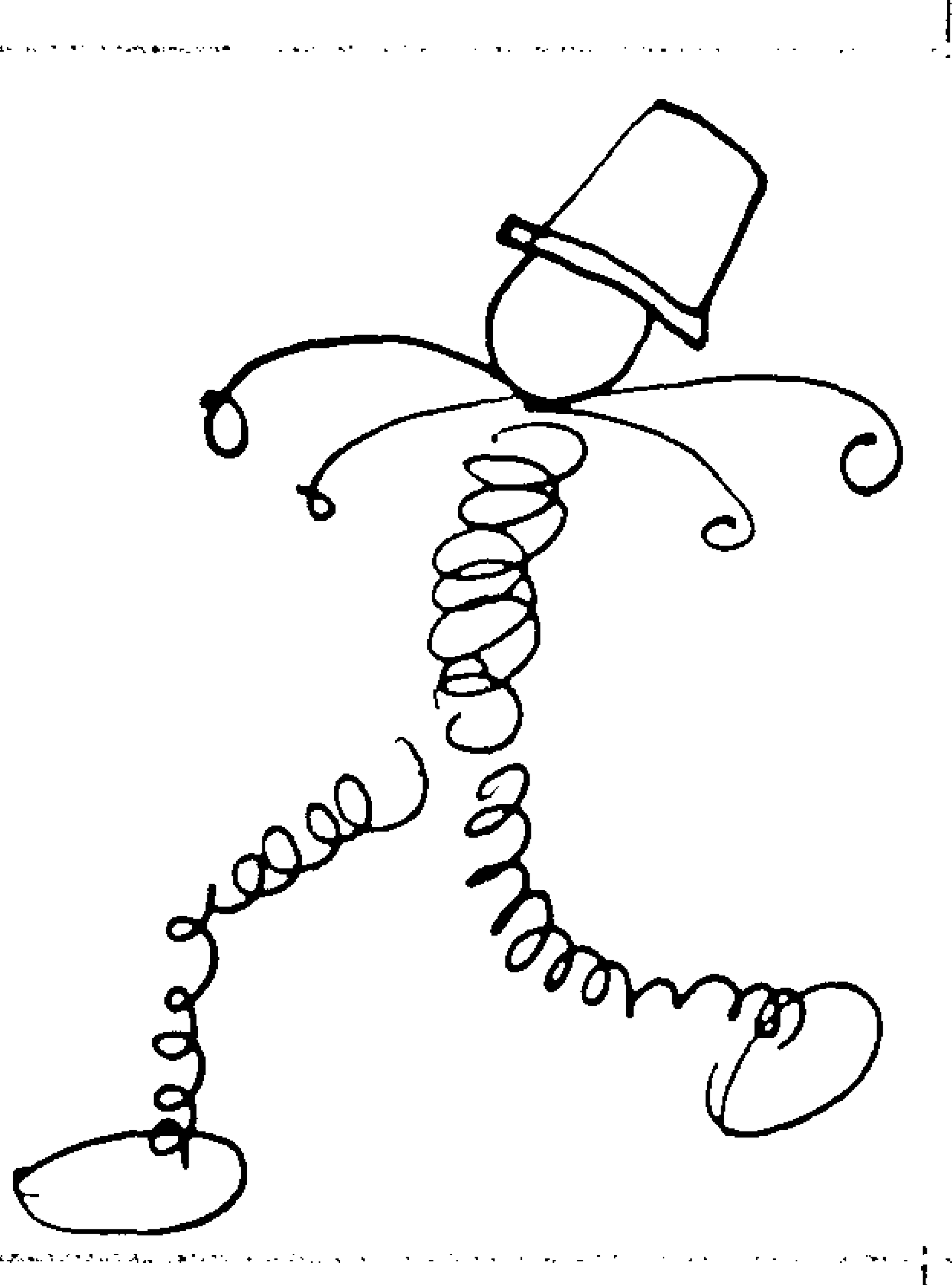
قبضاي ... لكن

التاسعة ليلاً وأيمن لم ينم بعد. نهرته قائلاً: «قوم نام».

وقف أمامي يبحلق بي ثم قال: «بدي فوت عالحمام».

❖ قلت: «اي فوت».

■ قال: «بدّي حدا يوقف حدي».



❖ قلت: «القبضاي ما بيوقف حدا حدو».

■ قال: «أنا قبضاي وبدّي أمي توقف حدي».

❖ قلت: «لأ. قلتلك إذا كنت قبضاي وقوي بتروح عالحمام لحالك».

■ عاد يبحلق بي. قال: «يا بابا ليش أنت هيك؟».

❖ سألته: «كيف هيك؟».

■ قال: «ما بتعمل مثل ما بدّي».

❖ سألته: «أنت صغير أو كبير؟».

■ قال: «أنا كبير».

❖ قلت: «إذا كنت كبير وقبضاي بتروح عالحمام لحالك».

عندها شمّر أيمن عن ساعديه ليريني حجم عضلاته ثم قال: «هه... شوف» ثم هرول باتجاه الحمام متحدياً.

بيروت، 85/7/7





اليوم رحت وأيمن إلى البحر. سبح. لعب. بنى قلعة من الرمال.

قبل أن ينام اتكأ عليّ وطالبني بحكاية الليلة. أوضحت له أنني متعب. ألحّ. فحكيت له حكاية الولد الذي ذهب إلى البحر مع أبيه وسبح، ولعب، وبنى قلعة من الرمال.

وأنا في وسط الحكاية طفح الدمع في عيني أيمن وتمتم بأسى: «هيدي مش حكاية. هيدي حكاية عن كذب. بدي حكاية عن جد».

حاولت إقناعه أنني متعب. لم يقتنع فحكيت له حكاية الولد الذي يرقص بثلاث أرجل ويسمع بثلاث عشرة أذنًا ويأكل بسبعة وسبعين فمًا ويشم بسبعة أنوف، ويرى بألف عين وعين. وحكيت له كيف تحوّل الناس جميعًا مثله.

مع نهاية الحكاية، كان أيمن في أقصى نشوة الاستمتاع.

بيروت، 85/7/19

دلالات النص

لكل نص شرارته، وشرارة هذا النص هي اعتبار أيمن، أن الحكاية المبنية بتفاصيلها والمنقولة حرفياً وبشكل آلي مباشر عن الواقع هي حكاية (عن

كذب) ولا تستحق أن نلتفت إليها، واعتباره، من جهة ثانية، أن الحكاية المبنية على الخيال هي حكاية (عن جد).

لقد استطاع أيمن بحسه الفطري أن يعرف أن محاكاة الواقع كما هو، في أي أثر فني (أدب، فن تشكيلي، موسيقى، مسرح الخ...) هو فن «كذاب» لا يستحق النقد أو السماع، وأن الجد كل الجد هو في الأعمال التي تستوحى من الخيال وتبنى عليه وقد سمى أيمن ذلك بـ (حكاية عن جد).

وما استمتاع أيمن بالحكاية المتخيلّة التي رويتها له عن الولد الذي يرقص بثلاث أرجل... إلا تدليل على ارتباط وتعلق الأولاد عموماً بعالم الخيال وخصوصاً في مرحلتهم العمرية المبكرة (3 ـ 6 سنوات) وهو العالم الذي لا غنى عنه في بناء أي أثر فني.



حتى لا يموت الورد

صرخ: «ماما.. ماما . رح يموتوا الوردات. تعي سقيهن».

كانت أمه منشغلة عنه فلم تنتبه لصراخه.

عاد وصرخ مجددًا بشكل استغاثة: «رح يموتوا الوردات. شو أنتِ بتحبي يموتوا؟».

قالت تستمهله: «هلق بسقيهن».

أصرّ: «لأ... هلق. تعي شوفي كيف دبلانين».

حملتُ سطل ماء وتوجهت إلى البلكون حيث يقف أيمن أمام أصص الورد يتأملها. قال: «إي حرام سقيهن يا بابا. بعدين إذا ما شربوا كيف بيكبروا؟ ويمكن يموتوا كمان».



سألته وأنا أصب الماء: «شو يعني يموتوا؟».

قال: «يعني ما بعودوا حلوين يعني بموتوا».

بيروت، 85/8/3



عيون الناس

سألني: «بابا ليش الناس لما يحكوا مع بعض بيطّلعوا بعيون بعض».

بيروت، 1985/9/5





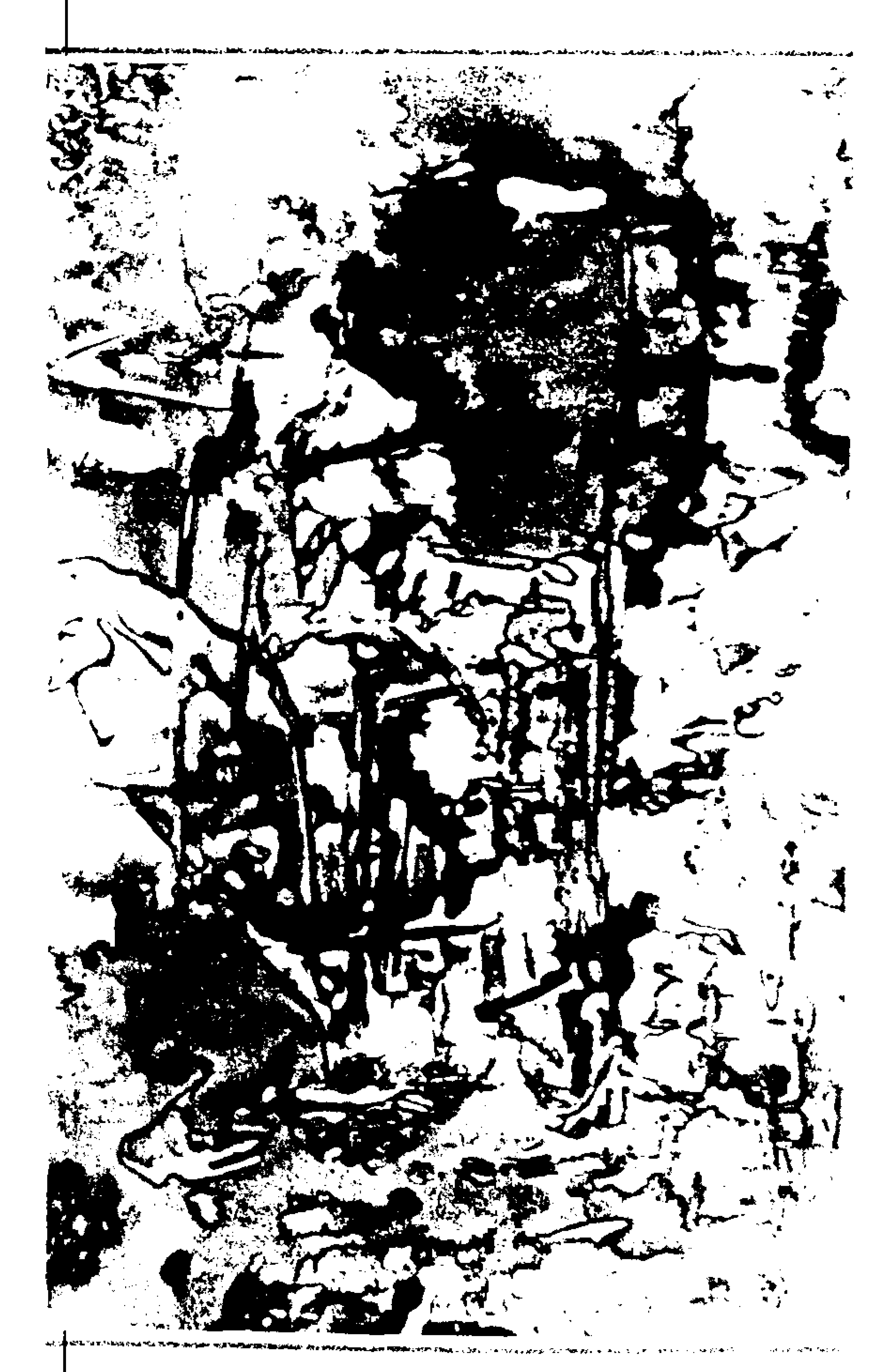
دلالات النص

إن أهم أدوات التواصل في ما بين الناس هي العيون. فالعيون أكثر الأعضاء قدرة على الجذب أو النفور، وفيها تتكثف المشاعر الداخلية الحقيقية للمرء، وهذه العيون قادرة على الكشف عن هذه المشاعر، وهي أعلى مرتبة وأسمى من الكلام.

وربما كان ذلك أحد الأسباب التي دفعت أيمن إلى التأمل في حركات وعلائق الناس، وفي وضع الكلام مقابل العيون.



كان يا ما كان



هذا المساء قال لي أيمن: «بدي إحكي لك حكاية».

قلت: «حكاية شو؟».

قال: «حكاية المرة الصغيّرة».

قلت: «لأ ... هيدي قصة بعرفها».

قال: «طيب بحكيلك حكاية الولد والحيط والسجادة».

قلت: «طيب إحكي».

قال: «كان يا ما كان كان في رجال نايم وعم يحلم. فتح عينيه وضل يحلم. بعدين سأل حالو: «شو كنت عم بحلم؟». وصار يتذكر ويتذكر وبعدين عرف وقال: «كنت عم بحلم إنو أنا عم بحلم». وتوتا توتا خلصت الحتوتا.

بيروت، 1985/12/14

دلالات النص

هناك حاجة قوية عند أيمن للتعبير والتواصل (أريد أن أحكي حكاية) وقد اقترح عند بداية كلامه، عنواناً لحكاية من حكايات أبيه المألوفة. وعندما رفض أبوه العنوان، ارتجل أيمن عنواناً لا صلة واضحة بين مفرداته (حكاية

الولد والحائط والسجادة) دون أي تهيب من هذا الارتجال، وفي ذلك تحدٍ واضح للمألوف السائد.

الغرابة في النص لا تكمن فقط في العنوان، بل في علاقة هذا العنوان بالحكاية. ففي مراجعة بسيطة، لا نجد أي ذكر للولد والحائط والسجادة... إذن الحكاية في مكان آخر تماماً ولا تمتُ بأي صلة للعنوان... وهذا إن دل على شيء إنما يدل على رفض أيمن اللاواعي لمقاييس الكبار في التفكير من حيث إقامة العلاقة في ما بين العناصر، وبالتالي هو يقلب الواقع رأساً على عقب.

إن أكثر ما يلفت في النص ويؤلم، هو الرغبة القوية عند أيمن في التفلت من أسر الواقع (وهو هنا واقع الحرب الأهلية في لبنان) فالرجل في حكاية أيمن كان يحلم وقد ظل يحلم، وعندما أراد أن يتذكر حلمه، تذكر أنه كان يحلم، وهنا لا نقع في النص على أي ذكر لكلمة استيقظ، لقد بقي الحلم مسيطراً حتى النهاية، وفي ذلك إلحاح وإرادة في النوم إلى ما لا نهاية ورفض للاستيقاظ على واقع لا يريد عيشه، ولا يعني ذلك إلا عدم الرغبة في الحياة وهذا هو المؤلم في النص...

طقّ طقّ طقّ

كان أيمن مسترخياً بالقرب مني على الكنبة، أحاطني بذراعيه، حاول صرف انتباهي عن متابعة نشرة الأخبار في التلفزيون، لم يقدر، لذا راح يدندن كلمات مبعثرة، لم أنتبه له إلاّ وهو يطرق بقبضة يده اليمنى على ذراعه اليسرى ويقول: ـ «طق طق طق».

استمالني المشهد فتابعته بحذر، ولكن سرعان ما شعر بانشدادي إليه، فعاد يطرق مبالغاً في حركته هذه المرة ويقول: ـ «بابا .. قال هيدا باب». وأشار إلى ذراعه الممدودة.

ثم رأيته يدخل من ذراعه اليسرى إلى غرفة واسعة ويقول: «شوف هالأودة شو كبيرة».

وبسرعة خرج كأنه نسي شيئًا وعاد وأدخل معه أصابع يده الخمس. رأيته يلعب معها بفرح ويسميها، ثم يضفي عليها بعض الصفات فهذه الإصبع طارق السمين، وتلك وائل الطويل، وتلك تانيا الشيطانة ... الخ.

هكذا ببساطة متناهية أصبحوا في الغرفة خمسة أطفال، ينطنطون ويغنون في غرفة حدودها الفراغ المتخيل.

تخيلت للحظة، من خلال ضحكات أيمن واندماجه العميق في اللعب مع رفاقه، أن أثاث الغرفة قد انقلب رأسًا على عقب.

بيروت، 1984/8/25



دلالات النص

أيمن هذا الطفل الوحيد. لم يجد أمامه في البيت من يلاعبه سواي، لذا حاول

صرف انتباهي عن متابعة نشرة الأخبار، فلم يقدر، ولكنه لم ييأس. فبدأ باستمالتي بأسلوب فيه شيء من التمثيل والمناخات الغريبة.

وعلى هذا اصطنع لنفسه عالماً متخيلاً جديداً، عالمًا مليئًا بالأصحاب. وقد نجح في ذلك إلى أبعد الحدود. ولم يكتف بما حققه من استحضار قسري ومبدع لرفاقه كي يلعب معهم، بل استطاع أيضاً أن يشركني أيضاً في الدخول إلى عالمه المتخيَل. لكن ذلك لم يتم دفعة واحدة. فهو بدأ بالدندنة وبافتعال بعض المفردات والحركات المبعثرة. وما إن أمسك بطرف الخيط الذي أوصله للفت انتباهي إليه، حتى أخذ بتضخيم الإشارة، الحدث (الطرق على الذراع) مستفزاً بذلك فضولي لمعرفة ماذا يفعل؟ ومع انتصاره الأول خطا خطوة أخرى إذ راح يحاورني حول عالمه المتخيلً (بابا قال هيدا باب) وقد استطاع بذلك أن يحدث فيَّ أثراً أقوى من أثر الصورة والصوت والحركة والحدث الإخباري على شاشة التلفزيون.

عند اطمئنان أيمن كلياً إلى أنني قد أصبحت في الجو تمامًا، دخل في لعبة الإيهام إلى حدودها القصوى، فدخل من ذراعه وأدخل أصابع يده الخمس وراح يلعب معها ويمرح وبمشاركة فعلية من جهتي.

ضمن هذا السياق نرى أن مبالغة أيمن في حركته (الطرق على الذراع) عند انشدادي إليه، لم تكن لتحصل لولا حاجته إلى اللعب وإلى من يهتم به وبأفعاله.

«بابا ... قال هيدا باب». ماذا تريد أن تقول هذه الجملة التي بدأ بها أيمن حواره معي؟ كلمة «قال» بالعامية يشير بها أيمن إلى معنى مطابق لها بالفصحى هو «تصوّر» أو «تخيّل». وكلمة «هيدا» تشير مباشرة إلى معنى الذراع اليسرى لأيمن، وتصبح الجملة هكذا: «بابا ... تصوّر أنّ ذراعي باب».

هل هذا كل شيء؟ ... بالطبع لا. فقول أيمن تصوّر أن ذراعي باب، يتضمّن

سلفًا معرفته أن ذراعه في الحقيقة ليست بابًا، لكنه يدعوني لتخيّل ذلك، ومن ثمّ بعث الروح في أصابع يده لتتحرك وتصبح أشخاصاً بأسماء وصفات محددة. إن هذا الأمر أوضح تعبير على قدرة الطفل أيمن ابن الثلاث سنوات على التمييز بين الواقعي والخيالي، وإن في حدود معينة. بالإضافة طبعاً إلى القدرة والرغبة الواضحة في تحريك الأصابع لتصبح أشخاصاً محددة.

ونخلص أخيراً للإشارة إلى دلالة الصورة المتخيلة التي استطاع أيمن أن يبنيها بلحظات، تلك الصورة المتمثلة بشهادتي: (ثم رأيته يدخل من ذراعه اليسرى إلى غرفة واسعة». إلى قولي: «وبسرعة خرج كأنه نسي شيئاً، فعاد وأدخل معه أصابع يده الخمس... الخ».

أول ما يمكن ملاحظته في شأن تلك الصورة، قدرة أيمن التامة على الانفلات من ضوابط التخيّل. فهو لم يتأسر بعد لمقاييس الكبار في فهمهم لعمليات الإبداع. لذا كان سريعاً وأصيلاً في ابتكار الصورة (دخوله من الذراع) وأسرع في استدراكه لتمتينها بعناصر جمالية مكملة (خرج من ذراعه وعاد وأدخل معه أصابع يده الخمس). وأكثر من ذلك تحسسه المطلق واللاواعي لمعنى الفراغ. إذ كيف يمكننا نحن الكبار تخيّل الغرفة التي دخل إليها مع أصابع يده؟ ما هي مواصفاتها؟ هل هي مستطيلة، مربعة، بيضاء، أم مليئة بالألوان؟ أين تقع من حدود ذراعه. هل هي فوق أم تحت؟ بين أو خلف؟ يمين أو شمال؟ إنه الفراغ المطلق اللامتناهي، حيث الحريّة التامة في تحديد مواصفاته كل بحسب رؤيته وتخيّله.

وأيمن أطلق صورته ومضى يلعب مع رفاقه، أطلقها هكذا بكل بساطة دون أن يقف عند حدود دلالاتها. وكأنني به قد ترك لي حرية التأمل في ما تضمره (الصورة). أما من جهتي فقد رأيت فيها غرفة مليئة بالأثاث الذي انقلب رأساً على عقب أثر اللعب المجنون للأطفال. أمّا بالنسبة إلى أيمن فقد تكون خالية، إلاّ منه ومن رفاقه الخمسة.



كيس الورق

ضحك ضحك ضحك حتى انقلب على ظهره. جاريته بالضحك دون معرفتي سببًا لسلوكه المفاجئ. أوقفت السيارة وهو على حاله من القهقهة.

سألته والابتسامة في عيني: «ليش عم تضحك هالقد؟».

سألني بعد أن هدأ قليلاً: « شو أنت ما بتعرف؟».

قلت: «لأ ما بعرف».

قال بتعجب: «يه... كيف ما بتعرف، ما أنت ضحّكتني».

سألته: «أنا... !»

قال: «إي مش أنت وماشي رميت الكيس على الطريق!»

سألته: «أيّا كيس؟»

هنا ضرب أيمن كفًا بكف وأطلق ضحكة صغيرة. قال: «كيس الورق!! شو أنت نسيت يا بابا؟».

انتبهت فجأة إلى صحة ملاحظته فقلت: «معليش غلطت. ما انتبهت».

قال: «إي. إي. معليش! بتخانق عليّ إذا زتيت شي على الأرض وأنت بتزت كيس الورق على الطريق، مش هيك!».

بيروت، 85/10/5



الحكـــاية التي لا تنتهي

كنت جالساً أقرأ في غرفتي حين دخل عليّ وقال:

■ «خلّص يا بابا .. ألم تتعب بعد؟ تعالَ نحكِ..».

❖ «ألا ترى أني مشغول ، هيا اذهب من هنا».

انكسف أيمن وابتعد عني ليعود بعد قليل ويستعطفني كي أقوم وأحكي معه، ولكثرة ما ألحّ عليّ قمت وجلست معه على شرفة البيت. قلت:

❖ «ماذ تريد؟».

■ «أريد أن أتكلم مع أحد ما».

❖ «ما رأيك لو نؤلّف حكاية أنا وأنت».

فرح أيمن بالفكرة وقال:

■ «أبدأ أنت أولاً».

❖ قلت: «كان يا ماكان كان هناك رجل يسوق سيارته، وبينما هو يسوق انفختت دواليبه الأربعة».

■ قال: «ذهب الرجل واشترى أربعة دواليب جديدة».

❖ قلت: «لما رجع الرجل لم يجد السيارة».

■ قال: «جلس على الرصيف وصار يفكر ويفكر، ثم ذهب للبوليس».

❖ قلت: «فتش البوليس والرجل عن السيارة».

■ قال: «رأى الرجل سيارته واقفة قرب الجامعة العربية وليس فيها أحد».

❖ فقلت: «ركب الرجل بسيارته ورجع إلى البيت، وتوتا توتا خلصت الحتوتا».

■ قال: «لا لا لم تخلص الحتوتا. الرجل لم يجد امرأته في البيت فعاد وخرج إلى الشارع».

❖ قلت: «ثم عاد إلى البيت ووجد امرأته وجلس يقرأ».

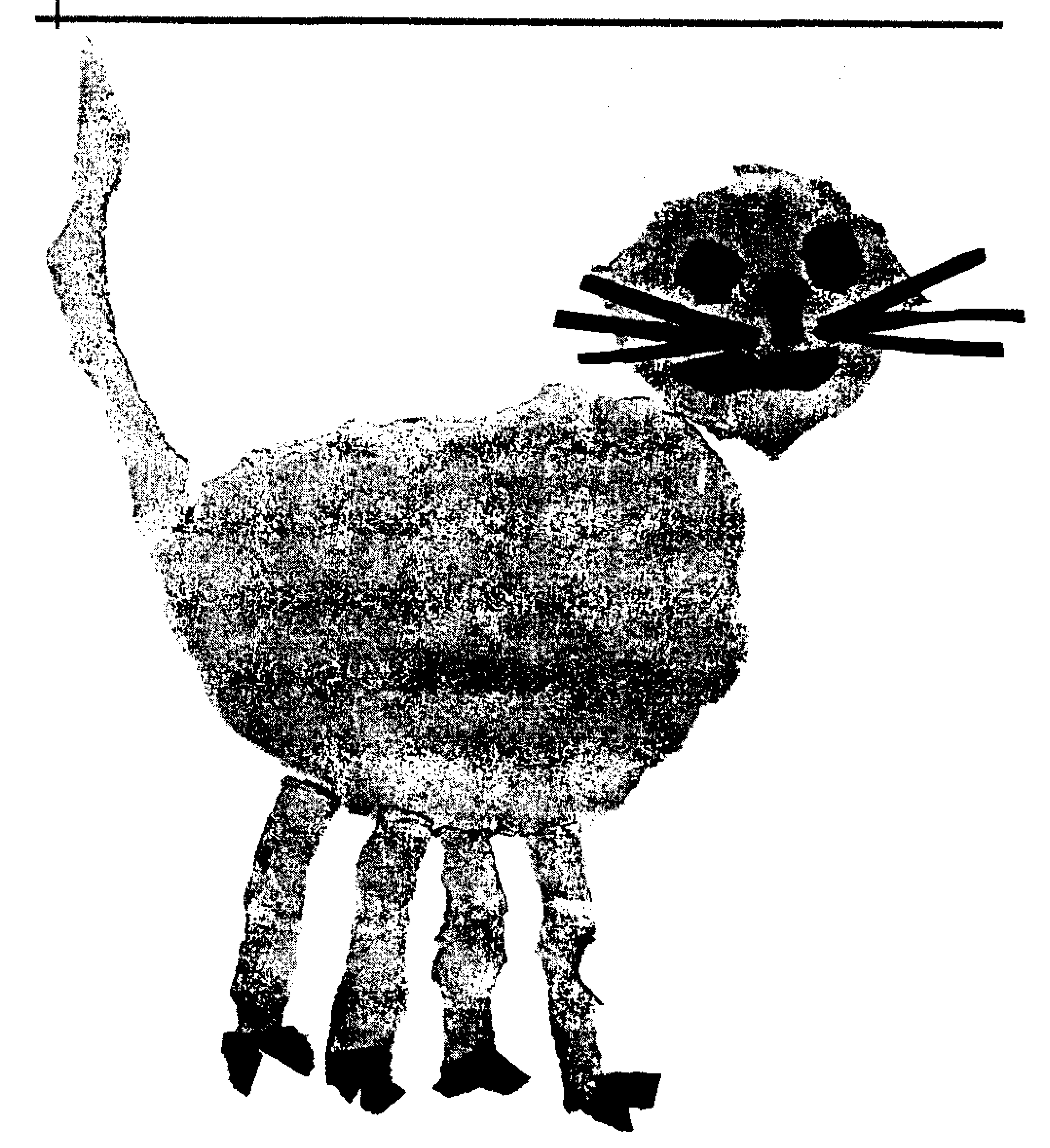
■ قال: «طيب ... وبينما هو يقرأ جاءت ''البسينه'' وأكلت الكتاب ثم الأوراق والأقلام والمكتبة كلها».

■ قال: «الرجل لم يقدر أن يمسك الهرة، لأنها طارت في الطائرة».

❖ قلت: «طيب، الرجل عاد واشترى مكتبة جديدة، وأوراق وأقلام وجلس يقرأ».

■ قال: «رجعت الهرة في الطائرة الثانية وأكلت له كل شيء، ثم هربت قبل أن يراها».

❖ قلت : «عاد الرجل واشترى مكتبة جديدة، وأقفل عليه الباب والشبابيك جيداً وجلس يقرأ».



■ قال: «دخلت الهرة من المدخنة وأكلت المكتبة والكتب».

❖ قلت: «لحقها الرجل وربطها في الحبلة».

■ قال: «فكت الهرة الحبلة ونزلت إلى البئر».

❖ قلت (محاولاً إنهاء هذه الحكاية التي لا تنتهي):

«نزل الرجل على السلم وقتلها».

■ قال: «قبل أن ينزل الرجل، أكلت الهرة السلم».

❖ قلت: «يا بابا .. أنت معي أو مع الهرة».

■ قال: «أنا مع الهرة».

بيروت في 1986/12/11



دلالات النص

في النص نقطتان أساسيتان، الأولى، أن أيمن في حاجة ماسة إلى التواصل والكلام مع أبيه، وأبوه مشغول شأنه شأن الكثير من الآباء أو الأمهات. والنقطة الثانية، قدرة أيمن والأولاد عموماً على الارتجال والابتكار.

من الناحية الأولى، يحاول أيمن صرف انتباه أبيه عن القراءة حتى يتمكن من الكلام معه، مرة بالاستعطاف ومرة بالإلحاح عليه.

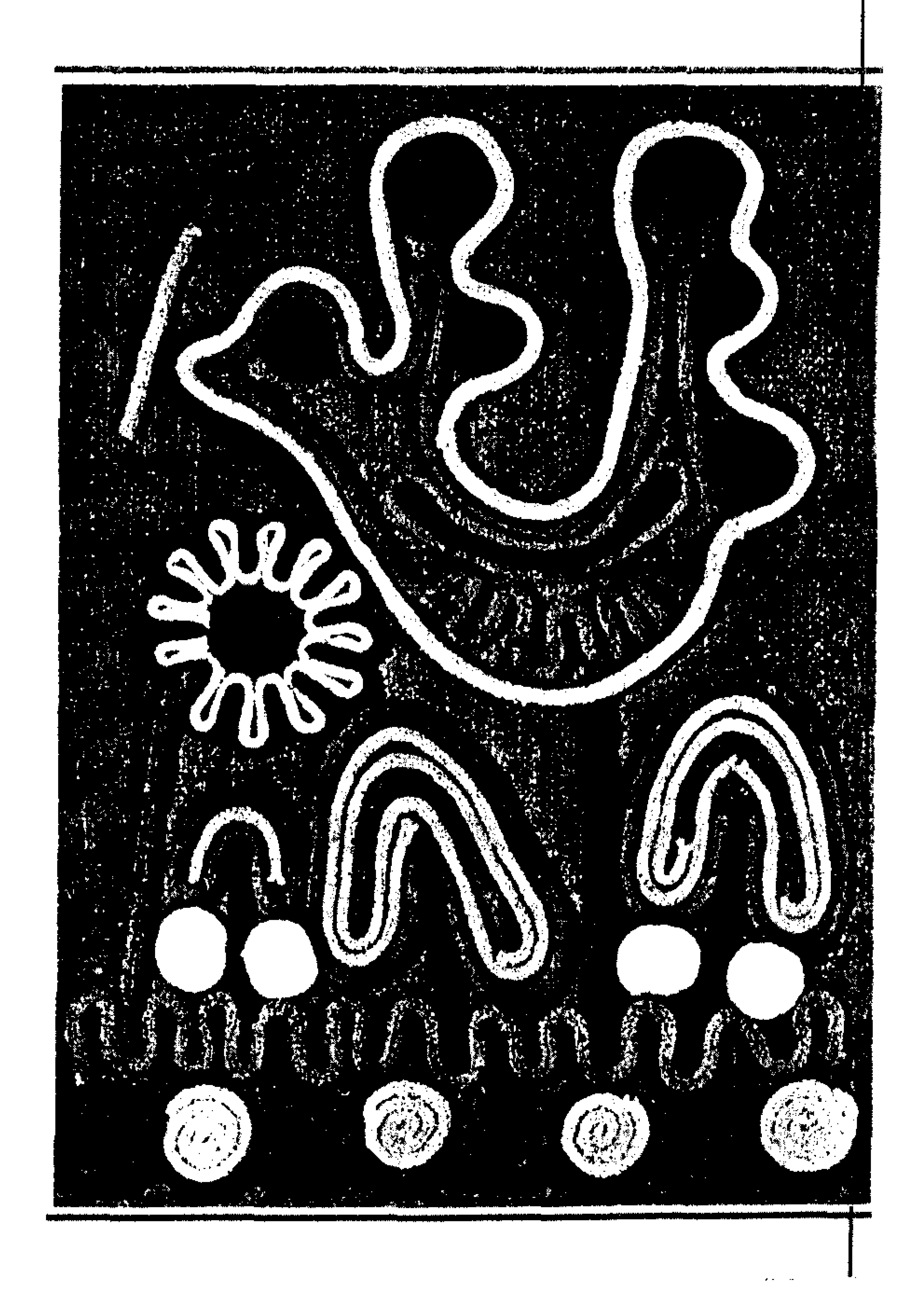
ومن الناحية الثانية وهي ناحية الارتجال، يحاول أبوه توجيه سياق الحكاية المرتجلة نحو نهايتها السريعة ليتمكن من العودة إلى القراءة، في حين أن أيمن يعمل جاهداً لإبقاء الحكاية مفتوحة الاحتمالات حتى يربح أوسع قدر ممكن من مساحة الكلام مع أبيه.

ويتبين لنا من سياق الحكاية المرتجلة، أن خيال أيمن الصغير، شأنه شأن معظم الصغار، هو أكبر بكثير من خيال أبيه، بحيث إنه كان قادراً على ابتكار أحداث من شأنها إبقاء النص مفتوحاً، ويظهر ذلك جلياً عندما يعجز الأب أمام ولده فيسأله «أنت معي أم مع الهرة» فيجيبه «أنا مع الهرة». وفي إجابته هذه تلخيص مكثف لجوهر الحكاية، وهو رغبة أيمن في التخلص من وحدته، بحيث إن بقاء الهرة، يعني بقاء الحكاية، وبقاء الحكاية يعني دوام التواصل، وفي غيابها عودة الأب إلى القراءة وعودة أيمن إلى وحدته.

عندما تزوج العصفور

«بابا كيف تزوج العصفور عندنا وعمره سنة واحدة فقط وأنا عمري خمس سنوات ولم أتزوج بعد؟».

بيروت في 1985/11/9



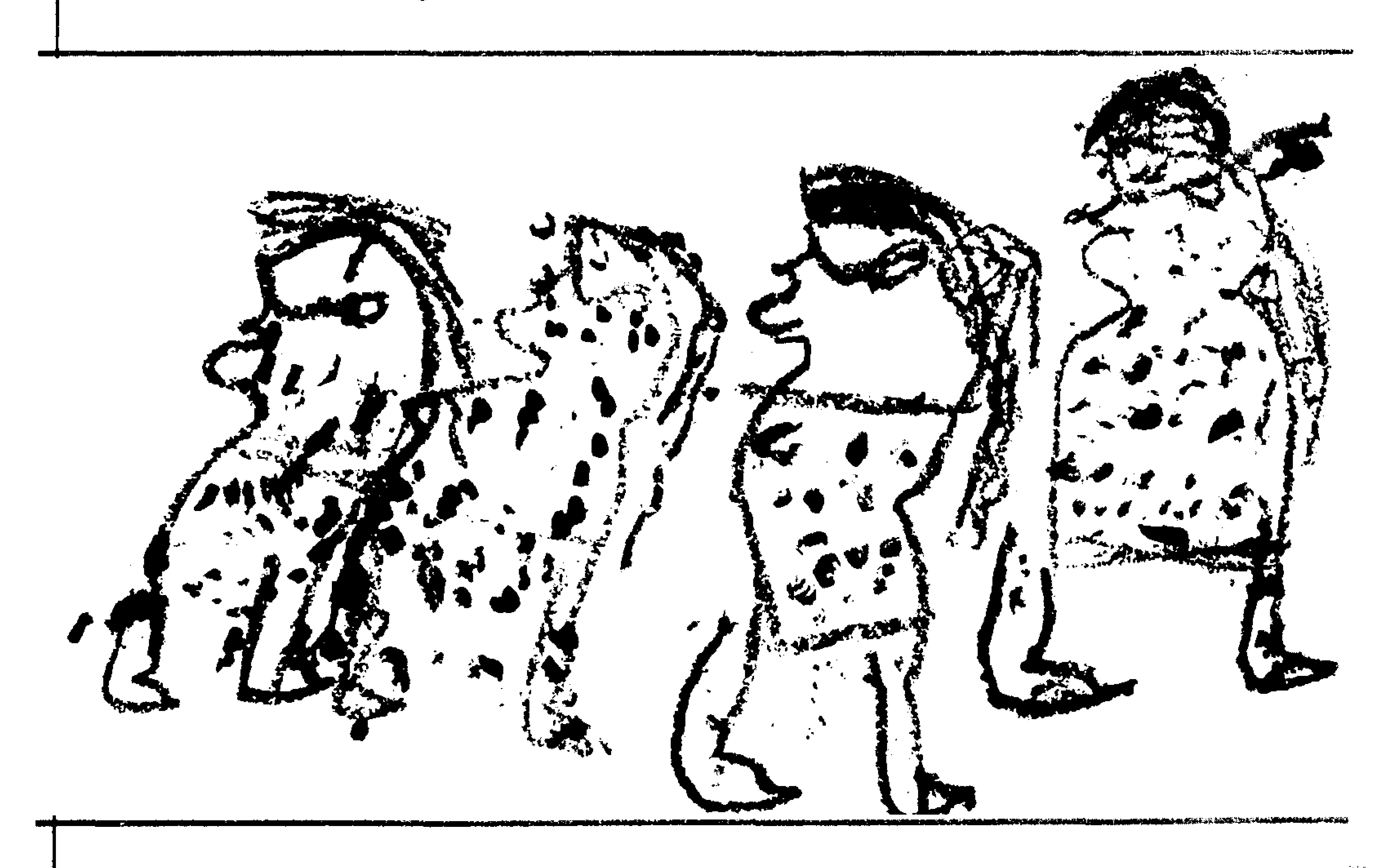


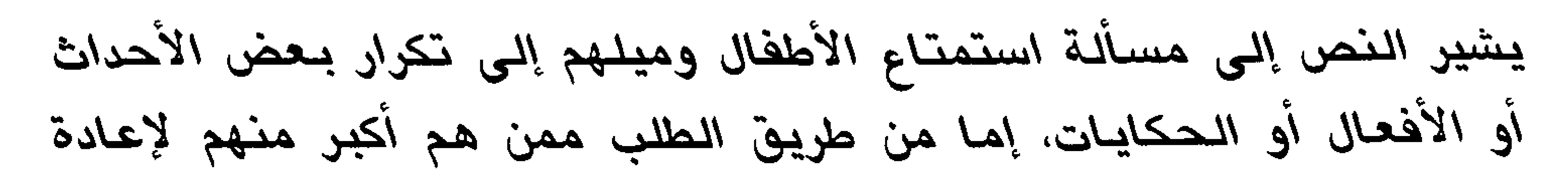
تكرار

كل يوم. كل صبح ومساء وعلى مدار ثلاثة أشهر مضت. كان أيمن يصرُّ على مشاهدة شريط مسرحية واحدة للدمى المتحركة دون غيرها. وكنت أراقبه فأجده منشدًّا إليها متابعاً أجواءها وحواراتها، منفعلاً مع أحداثها في كل مرة كأنها المرة الأولى التي يشاهدها.

وكنت أسأل نفسي: «كيف يستمتع بهذا التكرار المتواصل؟».

بيروت، 1983/9/1





دلالات النص

يشير النص إلى مسألة استمتاع الأطفال وميلهم إلى تكرار بعض الأحداث أو الأفعال أو الحكايات، إما من طريق الطلب ممن هم أكبر منهم لإعادة

حركة من الحركات أمامهم مرات ومرات، وإما من خلال مزاولتهم بأنفسهم لفعلٍ يجدون فيه مفارقة ما، إما لفظاً وإما حركة.

وهذا الميل إلى التكرار يعود لمسألتين أساسيتين.

الأولى سعي الأطفال اللاواعي، لاختبار وتنمية قدراتهم بأنفسهم لتركيز مفردة لغوية في أذهانهم، أو حركة أو سياق حدث أو قصة. وهذا التكرار يفسح لهم المجال باكتشاف عناصر جديدة في الحدث مما يُشعرهم بلذة هذا الاكتشاف.

والمسألة الثانية هي أن معظم الأطفال في مرحلتهم العمرية المبكرة (وهنا ثلاث سنوات) يميلون إلى التعلق بمألوف ما يرونه ويسمعونه (وجه، حركة، كلمة الخ...) وينفرون من كل تغير طارىء وحاد، ففي الإعادة تثبيت أكبر لهذا المألوف في أذهانهم لمعرفته بشكل أوضح، وكل ذلك من أجل السعي وراء الاطمئنان والأمان.



انتهى

اليوم لفظ أيمن أول كلمة باللغة الفصحى. قال وهو يشير إلى انتهاء «سيمون» من قصّ شعره عند الحلاق: «انتهى». لفظها بشكل مفخَّم، إذ كسر الألف في أول الكلمة وسكَّن النون بعد أن شدَّ عليها. ومدّ صوته في الألف المقصورة. هذا بعد أن كان قد قسم الكلمة إلى قسمين إن ـ تهى.

لفظ الكلمة بهذا الشكل ثم راح يضحك. زاد من ضحكه بعد أن رآنا (أنا وسيمون والحلاق) نضحك جميعًا من طريقة لفظه للكلمة.

بيروت، 1985/12/7





لماذا لا تفكر مثلي؟

■ «بابا. لماذا تفكر هكذا؟».

❖ «كيف؟».

■ «هكذا. مثل ما تفكر أنت».

❖ «طيب، وكيف تريدني أن أفكر».

■ «فكر مثلي أنا».

❖ وهل تعرف كيف أفكر أنا؟

■ «أنت لا تفكر مثلي».

❖ «كل واحد يفكر مثلما يريد هو».

■ لا ....

❖ لماذا؟

■ «عندما أعود من المدرسة سأقول لك».

❖ «لا .. قل لي الآن».

■ «طيب... يعني عندما لا يفكر الرجل مثل ابنه، وعندما تفكر الأم مثل أمها ومثلي أنا».

❖ «لم أفهم شيئًا».

■ «أنا أقول لك، وأنت لا تفهم عليّ. ماذا أفعل؟».

بيروت، 1986/5/5



دلالات النص

يبدأ أيمن بالتشكيك بكل ما أفكر فيه أنا كوالدٍ له، فيسألني «لماذا تفكر

هكذا»؟ ويريدني أن أفكر مثله. هو لا يريد أن يعرف أفكاري ولا كيف أفكر، وكل الذي يرغبه هو أن أجاريه في نمط تفكيره، ويلومني معاتباً ـ وهو ابن الخمس سنوات ـ قائلاً: «أنت لا تفكر مثلي».

ويبدو أن أكثر الجمل دلالة في النص، هي جملة أيمن التي يقول فيها التالي: «يعني عندما لا يفكر الرجل مثل ابنه، وعندما تفكر الأم مثل أمها ومثلي أنا». في هذه الجملة يحاول أيمن أن يلغي كل الماضي الذي عشته كوالد وكإنسان حتى قبل أن يولد، فهو عندما قلت له، إن كل واحد حر بأن يفكر مثلما يريد، كان جوابه سريعاً وقاطعاً «لا»... وفي رده هذا عودة إلى المربع الأول، وهو إحالة كل شي لحاضره ولشخصه تحديداً.

«مثلي أنا»: فالحاضر لا يمثله هو فحسب، بل يمثل كل الجيل الذي ينتمي إليه، وبالتالي هو صراع بين جيلين. وما أسئلة أيمن إلا تأكيد لهذا الصراع.

إن أسئلة أيمن في هذا النص تضع الإصبع على الجرح، لناحية الاختلاف في نظرة الجيل الشاب في مقابل نظرة الأهل تجاه العالم المحيط بكل ما فيه من مؤثرات. وما يعطي لهذا النص قوّته هو ما نشهده من تغير متسارع في هذا العصر وعلى كل صعيد.

فمعظم الأهل منشدون إلى ماضٍ ولّى ويواجهون بل يخافون كل جديد في الفكر والثقافة والفن، في المأكلِ والمشرب والملبس الخ.

أما الأولاد والشباب عموماً فنراهم منقطعين عن الماضي مأخوذين بقوة الحاضر، وإن حدث ذلك فبصعوبة ومقاومة كبيرة. فالشباب غير مستعدين لتقبُل الماضي مهما زيّنته لهم، ويبدو أن هذه الهوة بين الجيلين تتسع أكثر فأكثر. أما الكلام عن ردم الهوة والتصالح في ما بين الماضي بما يختزنه من ذاكرة جمعية والحاضر بما يحمله من وعود للمستقبل، فقد أصبح من كماليات الكلام.

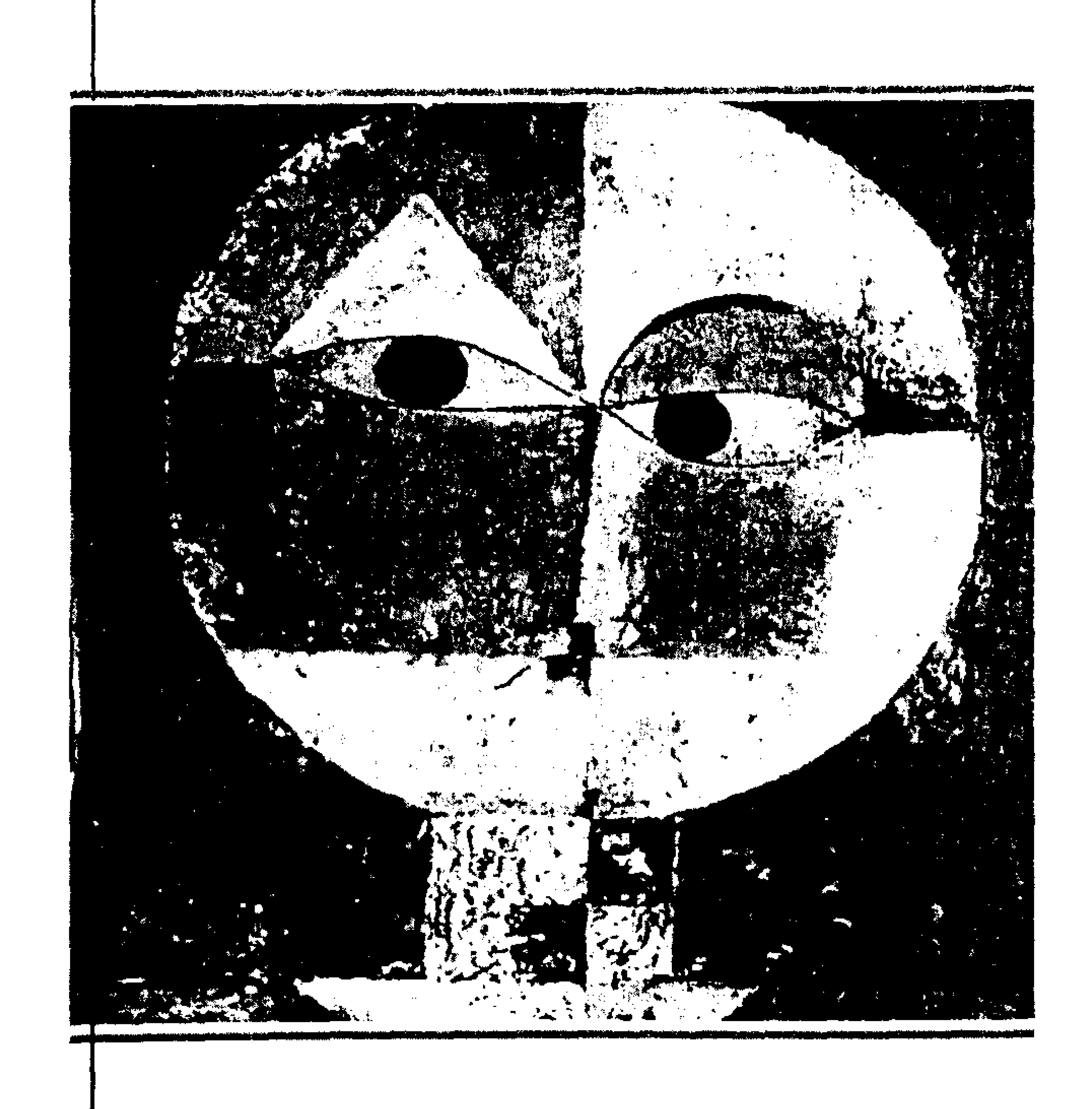


لماذا؟

أسند كتفه على باب غرفة النوم ينظر إلى أمه وهي ترتب شرشف السرير وقال:

* «أنت يا ماما تشتغلين وتشتغلين وتشتغلين وتبقين واقفة. وأبي يظل جالسًا... لماذا؟».

بيروت، 3 / 2 / 86





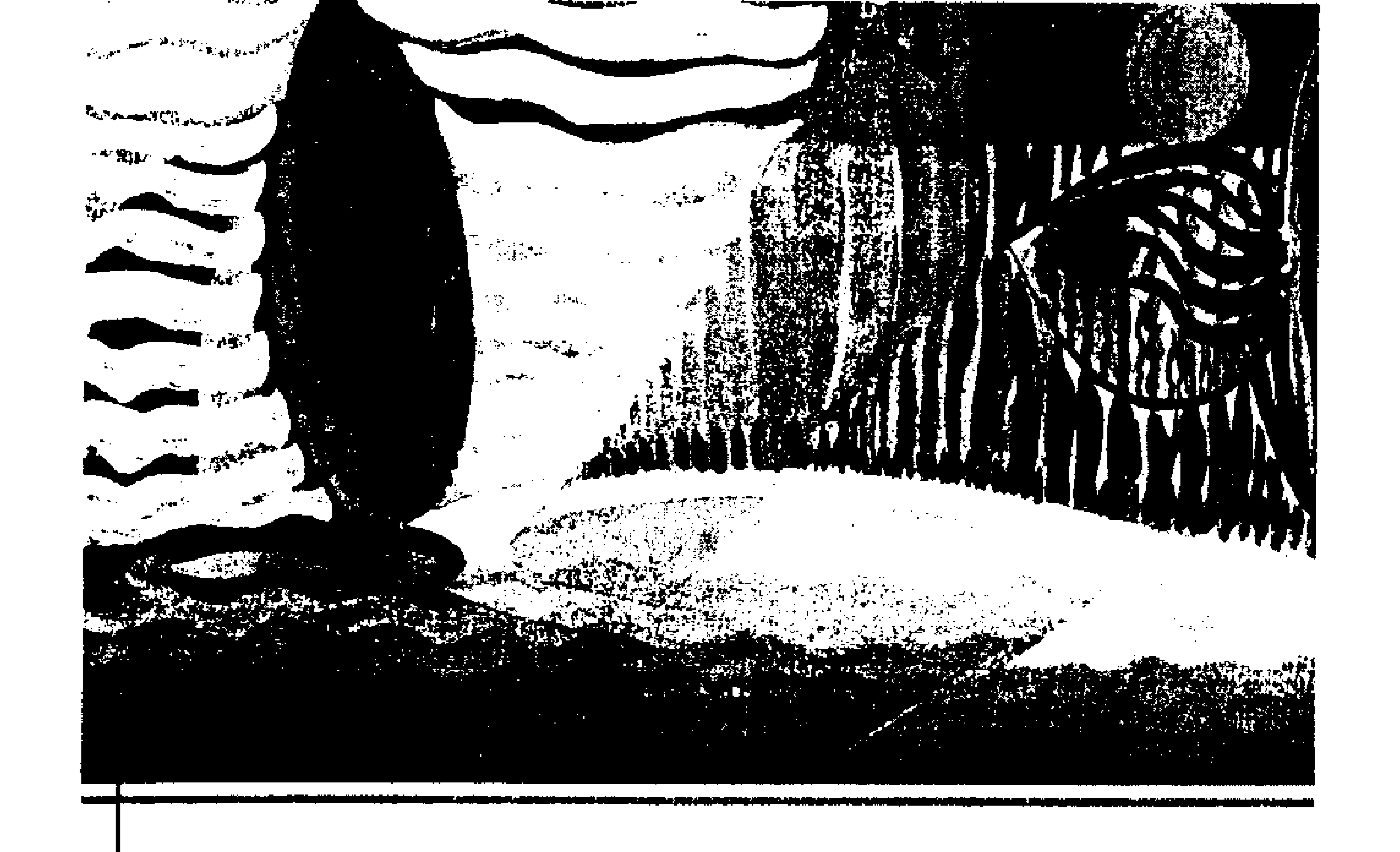
صوت البحر

■ قال لي: «بابا، ضع يديك على أذنيك واضغط عليهما».

❖ قلت: لماذا؟.

■ «ضعهم وستعرف».

❖ وضعت يدي مثلما قال، وعاد يسألني:



■ «هل تشد؟».

❖ نعم.

■ «ماذا تسمع؟».

❖ «لا شيء».

■ «بلى ... ماذا تسمع؟».

❖ «قلت لك لا شيء».

■ «ألا تسمع صوت البحر!».

❖ أغمضت عيني وشددت أكثر، فسمعت صوت البحر.

بيروت في 1986/6/24

دلالات النص

يبدو أن الطفل، من خلال هذا النص، هو ملك التأمل بامتياز. فكيف أمكن لأيمن أن يسمع صوت البحر وهو بعيد عنه أميالاً. كيف استطاع أن يربط بين حركة الضغط على الأذنين وسماعه لصوت البحر؟ هذا الأمر يضع الأطفال في مرتبة أعلى من الكبار، على صعيد تحسس الحياة بكل ما فيها، فهل نتعلم من أولادنا هذه القدرة على التأمل.



الملك ميداس

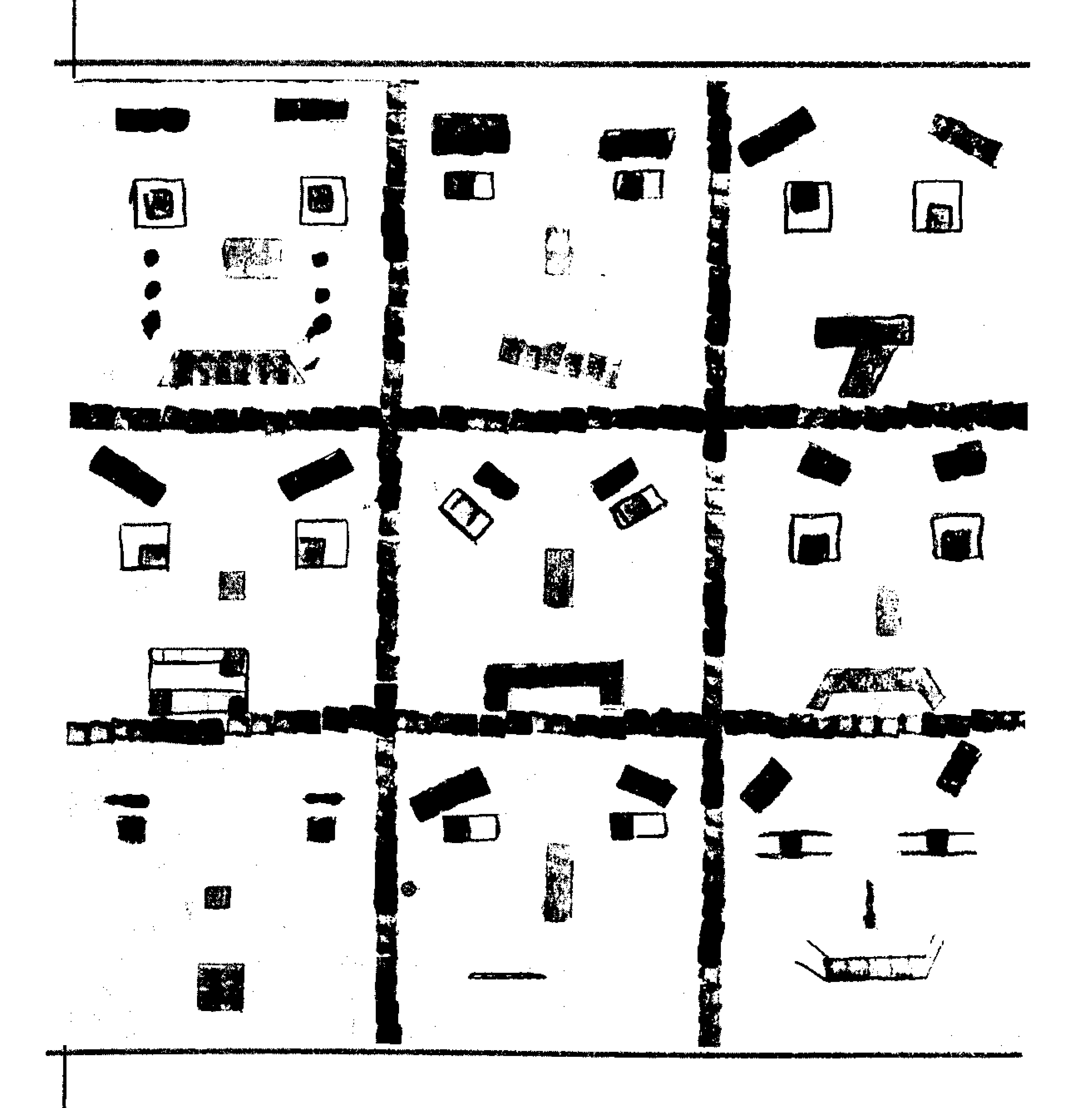
لما حكيت له حكاية الملك ميداس صار يضحك، سألته عن سبب ضحكه. قال:

* «الآن، عندما يلمس الملك ميداس نفسه سيصير ذهبًا».

جاريته في الضحك فعاد وأكمل:

«وبعد ذلك سيأتي الناس ويأخذون الملك ويشترون به من الدكان شوكولا وبونبون».

بيروت في 1986/1/18





قبل أن ينام

كعادته وقبل أن ينام استلقى بجانبي لأحكي له حكاية من رأسي. وقبل أن أبدأ الحكاية هذه المرة طرأت على بالي فكرة فقمت وأطفأت نور الغرفة وقلت:

❖ «كان يا ما كان، في قديم الزمان ...».

قاطعني أيمن: «لا ... ارجع وأشعل النور».

❖ لماذا ؟



■ «كيف ستحكي الحكاية هكذا؟».

❖ «وما دخل الحكاية بالنور؟».

■ «وكيف تريدني أن أراك ؟».

❖ «هل تريد أن تراني أم تسمعني؟».

■ «أريد أن أراك وأسمعك».

أصريت على موقفي محاولاً معرفة إلى أين سيؤدي الأمر، وتابعت الحكاية في عتمة الغرفة. هو لا يراني وأنا لا أراه . أحسست أن هناك مسافة كبيرة بيني وبينه، وأن الصوت وحده غير قادر على قول كل شيء. بعد قليل شعرت به وقد أدار وجهه للجهة المعاكسة لي. قلت له:

❖ «أدر بوجهك نحوي».

■ قال: لماذا؟.

❖ قلت: «لا يمكن أن أحكي لك الحكاية ووجهك في الجهة المعاكسة لي».

■ «وما دخل وجهي بالحكاية؟ نحن لا نرى بعضنا».

❖ «عند ذلك شعرت أنه لا يمكنني المتابعة، فقمت وأشعلت النور من جديد».

أدار أيمن وجهه نحوي وقال..

■ «الآن يا بابا نرى بعضنا جيدًا. والحكاية ستكون أجمل».

بيروت، 86/8/7

دلالات النص

لماذا أصرَ أيمن على أن تتم جلسة السرد في النور، وبالتالي على أن يرى تعابير وجهي وأن يسمع صوتي وأنا أسرد له الحكاية؟ ولماذا تولد عندي ذلك الإحساس بأن هناك مسافة كبيرة تفصل بيني وبين ولدي، وأن الصوت في العتمة غير قادر على قول كل شيء. ونتيجة لكل ذلك أدار أيمن وجهه للجهة المعاكسة لي وكأنه يقول، ما دمنا لا نرى بعضنا فما أهمية الحكاية من أصلها.

وحين عدت وأشعلت النور من جديد عاد التواصل بيننا وقال أيمن (الآن ستكون الحكاية أجمل).

هذا الأمر يحيلنا إلى موضوع جلسة السرد التي يمكن أن تحصل بين الأهل وأولادهم. فما هي طبيعة هذه الجلسة، وفي أي مناخات تتم عملية السرد. قد تكون الحكاية قصة من القصص المكتوبة يقرؤها الأب أو الأم على مسمع أولادهم. وقد تكون حكاية يقوم الأهل بتوليف أحداثها أو ارتجالها. وفي هذه

الحالة ما هو الجو الذي يسود الجلسة؟ ما هو تأثير صوت الراوي، صورته، وتعابير وجهه وحركته؟ هل يقوم الراوي (الأب، الأم، الجدة الخ...) بتعديل بعض مفاصل الحكاية خلال عملية السرد نتيجة ردات فعل أولادهم وانفعالاتهم المختلفة؟ على أي أساس تبنى الألفاظ وسياق الأحداث؟ هل عمر الأولاد هو الذي يحدِد اختيار الألفاظ والأحداث المناسبة؟ للإجابة عن هذه الأسئلة: سأحاول وصف ما يجري خلال جلسة السرد المرتجلة بيني وبين أيمن.

في إحدى الجلسات حكيت لأيمن حكاية مرتجلة عن ولد صغير أضاع طريقه ووصل إلى الغابة ليلاً، فنام في مغارة صغيرة.

كان أيمن يتابع الحكاية بقلق واضح على الولد لتماهيه معه، وبدرجة ما من التماسك الانفعالي. ولكن عندما وصلت إلى وصف الذئب وعيونه التي تلمع في الليل وهو يتقدم من باب المغارة وعندما وصفت حركة تقدم الذئب وصفاً هامساً ودقيقاً، شعرت بخوف أيمن الشديد، وبدأ قلبه يخفق بقوة... هذا الانفعال جعلني أغير فجأة من مجرى أحداث الحكاية فقلت: «قبل أن يصل الذئب إلى باب المغارة طلع الصباح وكانت الشمس جميلة والعصافير تطير في السماء والورود تزين الطبيعة بأحلى الألوان والأشكال».

مع هذا التغيير في طبيعة ومناخات جلسة الصوت باللفظ والسياق والحركة، تغيرت حالة أيمن وبدأ يهدأ قليلاً، لم يسألني عما حدث بعد ذلك، لقد اقتنع، (لحاجته إلى هذا الاقتناع)، بأن الصبح قد طلع وأن الولد نجا من الذئب.

تجدر الإشارة هنا إلى أن تعابير أيمن وانفعالاته هي التي دفعتني إلى تغيير مجرى أحداث الحكاية وبالتالي تغيير مناخات السرد. وهذا لا يمكن

أن يحصل إلا في حالة التماثل بين شخصيتَيِ الراوي والمتلقي، هذا التماثل الذي يجعل المتلقي أساساً في عملية البناء الدرامي للحكاية بأحداثها المختلفة، وفي مثل هذه المشاركة الحية يصبح النص مفتوحاً ولا يمكن أن يكتمل إلا بوجود المستمع داخله... ولو كان النص مكتوباً ومنتهياً ما كان ليحصل ذلك، وتلك هي أهمية الأدب الشفاهي.

إن ما تقدم يفتح الكلام على موضوع أساسي وهو موضوع «الوسيط» فالوسيط في الحالة المذكورة هو الراوي (مرتجل أو قارىء الحكاية) وعلاقة هذا الوسيط بالمتلقي هي أقوى من أي وسائط أخرى (التلفاز، السينما، الحاسوب) وذلك للتماثل الحاصل بين المرسِلْ والمرسَلْ إليه حسياً بالصوت والحركة... ففي مقابل دور الوسيط في الحكاية التي أسلفنا ذكرها وانفعالات أيمن القوية التي وصلت إلى حد خفقان القلب... أذكر في المقابل أنني كنت أتابع أيمن وهو يشاهد فيلماً، وفيه غابة غريبة الشكل مليئة بالأفاعي وأنواع البشر والحيوانات ذوات الخلقة المخيفة. وكان في الفيلم رجلاً على شكل صخرة كبيرة بحجم بيت كبير، يأكل الصخر ويركض خلف فتاة يريد إمساكها، وكان يبدو كمحدلة، إذا نفخ اقتلع الأشجار من مكانها. وقد كان كل ذلك مترافقاً مع مؤثرات موسيقية وصورية مخيفة جداً... رغم ذلك، فإنني لاحظت أن أيمن، ظل يتابع الفيلم دون انفعال كبير.

هذا الأمر لا يمكن تفسيره إلا من خلال الوسيط، فكيف يمكن لكلمة أو همسة من الراوي في جلسة سرد عادية، أن تكون أقوى من الصورة مع كل ما يرافقها من مؤثرات؟



الشخص الوهمي

منذ أسبوع، بدأت ألاحظ أنه يمضي ساعات في غرفته يلاعب شخصًا وهميًا بورق «اللعب»، وأحيانًا كثيرة كنت أسمعه يضحك ويضحك ثم يقول: «غلبته».

مرة سألته:

❖ «غلبته! من غلبت؟».

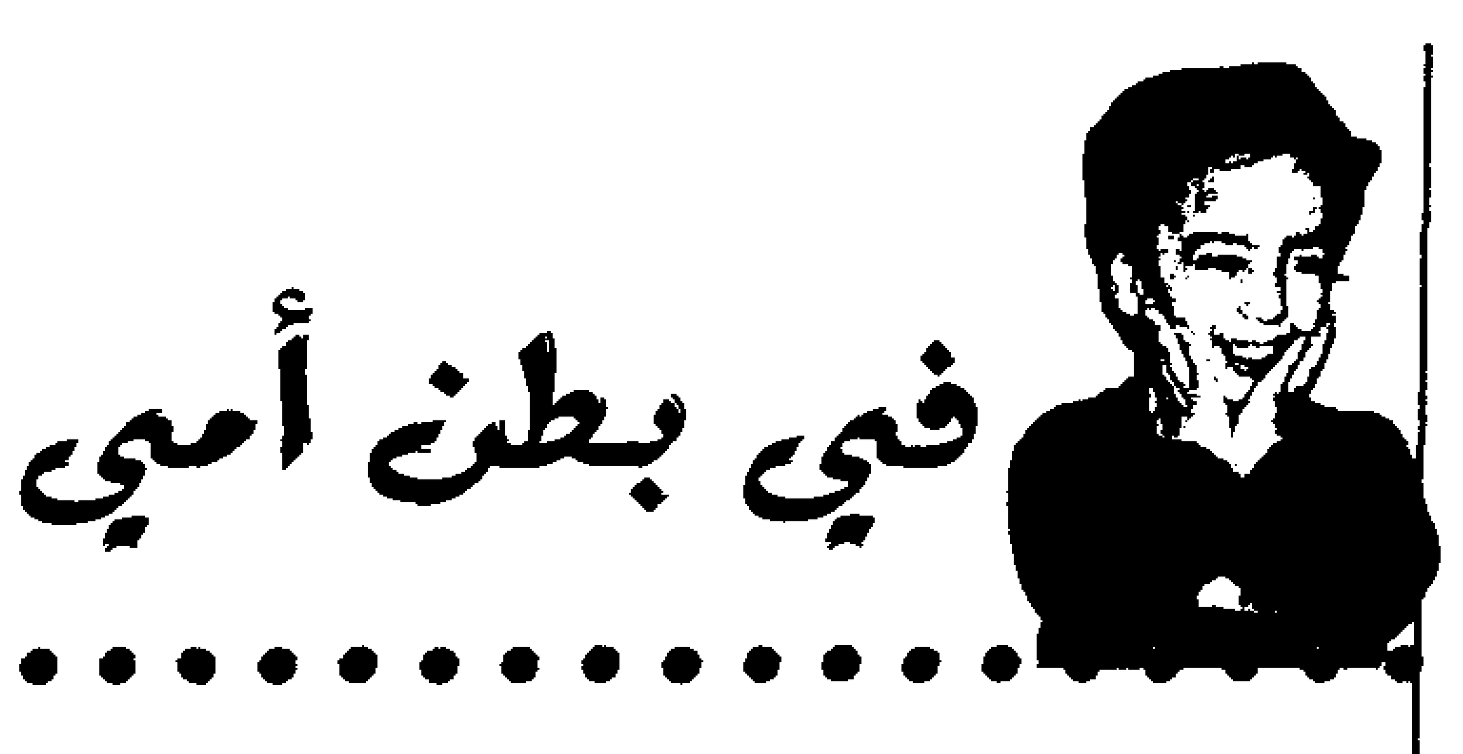
■ «ألا تراه؟».

❖ «أنا لا أرى أحدًا. أين هو؟».

نظر إلي وعلى وجهه ابتسامة حاول إخفاءها: «يمكن أنا بشوفو بس!». ثم عاد ليوزع الورق قسمين، قسمًا له، وقسمًا آخر للشخص الوهمي الجالس معه.

بيروت في 1986/6/29





في بطن أمي

كانت أمه في شهرها السابع عندما رآها تتلوى من الألم، سألني:

■ «بابا .... الـ ب. ب. يتوجع الآن؟».

❖ لا..

■ «بلى .. انظر إليها إنها تتوجع».

❖ «أمك نعم .. لكن الـ ب.ب. لا».

■ «هذا غير معقول؟».

❖ لماذا؟

■ «الـ ب.ب. في بطن أمي وهو الآن «بالزلط». وأكيد هو يتوجع الآن».

بيروت في 1986/11/9



دلالات النص

يبدو أن أيمن كان أعلم مني عندما أشار في سياق النص، إلى حتمية تأثر الجنين بما تتعرض له الأم وعلى أكثر من صعيد.

فعندما أكدت له أن أمه: نعم... تتوجع ولكن الـب. ب.لا».

قال: «هذا غير معقول» لقد حسم في هذه الجملة البسيطة الأمر، ولخص كل ما جاءت به الكتب حديثاً عن ارتباط الجنين وتأثره بما يحصل في العالم الخارج عن محيطه «بطن الأم» من نواحي الغذاء، والانفعال وصحة الأم الجسدية والنفسية.

كيف أمكن له أن يعرف ذلك. هل يعود ذلك فقط للفطرة؟ هذا ما يجب التوقف عنده ملياً.



هذا المطــــر

كان الطقس عاصفًا وممطرًا هذا اليوم، بشكل لم يألفه أيمن من قبل. قال وهو ينظر من النافذة:

* «يا ماما، اتصلي بشركة الكهرباء وقولي لها أن تقطع هذا المطر».

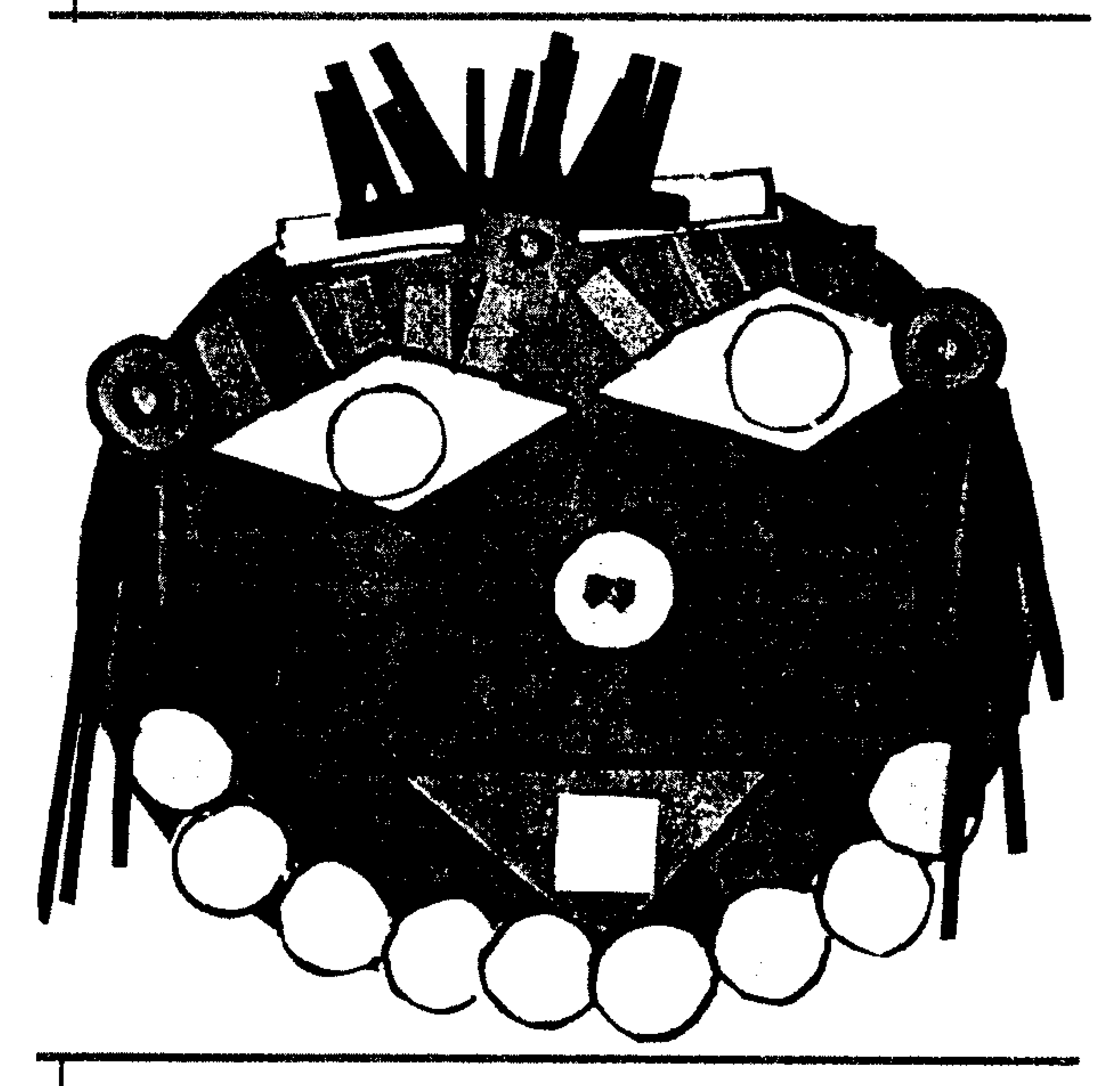
بيروت في 1985/12/30



إذا...

إذا سعلت، سعل، إذا غضبت، غضب، إذا ضحكت، ضحك. إذا مرضت، تمارض وإذا مشيت، مشى مثلي.

بيروت، 1985/12/7



دلالات النص

يشير النص إلى رغبة الأولاد الدائمة في تقليد الكبار في حركاتهم وكلامهم، وهذا الأمر يعود أساساً إلى رغبة هؤلاء الأولاد في النمو والارتقاء... هم يريدون أن يصبحوا كباراً بسرعة، لأسباب أقلها أنهم يعيشون في محيطٍ معظم ما فيه كبير بالقياس إلى أحجامهم الصغيرة (الأهل، السيارات، الأبنية، الأشجار...الخ).

ويشعر الأولاد عموماً، أنهم غير قادرين على السيطرة أو التعامل مع مثل هذه الأحجام، وهي أساساً تضغط عليهم يومياً بهدف التحرر من أسر تلك الضغوطات. باستمرار، وبالتالي تصبح رغبتهم في أن يصبحوا كباراً رغبة مبررة، على الأقل بهدف التحرر من أسر تلك الضغوطات.

وفي عملية التقليد إجمالاً يشعر الأولاد أنهم يقتربون أكثر من تحقيق هذه الرغبة ولو من طريق اللعب والتمثيل.



مَن يدق الباب؟

قلت له: «إنني أنتظر صديقًا. أرجوك أخفض صوت «المسجلة» حتى أستطيع سماع الباب».

قام وأخفض الصوت. انصرفت لقراءة جريدتي.

بعد قليل سمعت طرقًا على الباب. ناديت أيمن وقلت له: «افتح الباب».



ضحك وقال: «هيدا أنا».

ضحكت متابعًا قراءة الجريدة. بعد أقل من خمس دقائق عدت وسمعت طرقًا على الباب: «افتحوا الباب».

فتحت أمه لكنها لم تجد أحدًا. قالت وهي تخفي ابتسامة صغيرة: «هيدا أنت يا ملعون حاج تشتغل فينا».

لم يلبث أيمن أن اتخذ من الأمر تسلية فراح يطرق الباب بين الفينة والأخرى ويقول: «افتحوا الباب».

زعقت أمه فيه: «خلص بقا».

قلت له: «يا بابا، هلق إذا دق الباب عن جد كيف بدنا نعرف؟».

قال: «ما تخاف أنا بفتح».

عندها طرأت على بالي خاطرة، فاتفقت مع أمه من وراء ظهره على تنفيذها. بعد قليل سمع أيمن طرقًا على الباب فهرول وهو يصرخ: «عم يدق الباب، عم يدق الباب». فتح فلم يجد أحدًا.

سألته من غرفتي: «شو! هيدا صديقي؟».

قال مدهوشًا: «لأ .... ما حدا» ثم أغلق الباب وتوجه نحوي: «يمكن هيدا الهوا! بس ما تزعل يا بابا هلق بيجي رفيقك».

بيروت، 85/12/3





حمل أيمن من مكتبته الصغيرة كتابًا مصورًا وطلب مني أن أحكي له الحكاية. جلس في حضني. بدأت الحكاية كالعادة دون النظر إلى كلمات الكتاب (لم أكن قد قرأته مسبقًا فاستعنت بالصور).

«كان ياما كان في ولد اسمو غوغيتش، غوغيتش كان راعي غنم، وكان يرعى غنماته بالسهل».

فجأة توقفت عن سرد الحكاية بالعامية، وقلت لأيمن: «شو رأيك احكي لك القصة من الكتاب مثل ما هي؟».

قال: «مثل ما بدّك».

عندها رحت أقرأ القصة باللغة الفصحى كما جاءت في الكتاب فقلت: «بدأت القصة عندما صنع الأب طاقية كبيرة لغوغيتش.....».

قاطعني أيمن قائلاً: «لأ ....لأ مش هيك ما فهمت شي».

قلت: «مبلى هيك أحسن». وعدت أقرأ من الكتاب: «وكانت الطاقية تسقط على عيني غوغيتش فتمنعه من الرؤيا».

هنا طفحت عينا أيمن بالدمع وهو يقول: «قلتلك مش هيك. شو عم تحكي؟».

قلت: «طيب اسمع». ورحت أقرأ له القصة باللغة الفصحى المبسطة «كان ياما كان. كان غوغيتش ولد صغير وكان أبوه يحبه كثيرًا فصنع له طاقية. كانت الطاقية كبيرة كبيرة. أكبر من رأس غوغيتش بكثير وكانت تنزل على عينيه فيضحك غوغيتش ويرفعها بيديه حتى يرى أمامه .... ألخ.

تابعت الحكاية هكذا، وقَبِلَ أيمن بهذه الصيغة الجديدة وإنْ على مضضٍ بعض الشيء.

بيروت، 1985/12/1

دلالات النص

لقد تمَّت قراءة القصة لأيمن بثلاث صيغ مختلفة، العامية والفصحى كما جاءت في الكتاب، والفصحى الميسرة.

لم يكن هناك أي عائق في الصيغة الأولى، وقد قبلها أيمن دون تعليق، وذلك لأنها صيغة عيشه والكلام الذي يسمعه ويتداوله يومياً.

في الصيغة الثانية كان التواصل مع نص الحكاية صعباً، وكانت الصيغة مليئة بالجمل الاستطرادية والمفردات المنقطعة عن سياقها التتابعي السلس... مثال ذلك(: «صنع الأب طاقية كبيرة لغوغيتش؟) فمن هو هذا الأب وما علاقته بغوغيتش، ليس هناك أي مرتكز سلس لبداية القصة. في كل الأحوال رفض أيمن هذه الصيغة من أصلها وطلب تغييرها.

أما في الصيغة الثالثة وهي الصيغة الميسرة فقد بدأت الحكاية بمرتكز أساسي وهي تحديد شخصية غوغيتش وأنه يعيش مع أبيه وأن أباه يحبه كثيراً لذلك اشترى له طاقية كبيرة أكبر من رأس غوغيتش...الخ.

لقد قَبِل أيمن هذه الصيغة دون أن يفضلها على الصيغة الأولى وهي صيغة عيشه اليومي...

أما دلالة ما تقدَم، فيفتح التساؤل واسعاً على موضوع اللغة الموجهة لأطفالنا، وخصوصاً المكتوبة منها، فما هي مواصفات هذه اللغة؟ هذا ما يحتاج إلى بحث آخر...



لا تحزن

سمع جدته تؤنّب ابن عمته «سيمون» بشدة. ولما أصبحا وحيدين قال له: «لا تحزن يا سيمون، بكرة لما تكبر بتضربها».

بيروت في 1986/6/17





عناق

وضعت بين يديه مجموعة دمى (سعدان، فتاة، ولد، عصفور، غراب، خروف، بقرة، شجرة، دجاجة، رجل ختيار) ووضعت له قماشة امتدت بين أول باب الصالون وآخره كحاجز بينه وبيني. (عبارة عن كاستولي تقليدي).

بعد قليل، ومن خلف القماشة وجدته يحمل الغراب بيد وباليد الأخرى دجاجة. وأخذ يحركهما ويصدر أصواتًا تعبّر عن معركة تدور بين الدميتين. بنتيجة الصراع انتصرت الدجاجة على الغراب وأردته قتيلاً.

بعدها استبدل بالدجاجة التي انتصرت على الغراب البقرة.

ثم رأيته يستبدل بالبقرة السعدان، وبالسعدان الخروف، وبالخروف الولد، وبالولد الفتاة، وبالفتاة الختيار، وبالختيار العصفور، في حين أن الغراب بقي حاضرًا أبدًا يصارع دمية وراء دمية وينهزم بنتيجة كل معركة.

أخيرًا رأيته يحمل السعدان بيد والغراب باليد الأخرى ويقول لي من خلف القماشة:
ـ «شوف، شوف».

رأيت دميتين ـ الغراب والسعدان يتعانقان ويقبّل واحدهما الآخر.

أنهى أيمن المشهد باختراق القماشة والتوجه نحوي حاملاً الدميتين قائلاً: «شوف كيف بحبو بعض».

بيروت، 1984/12/15

دلالات النص

يتجه النص بسياقه العام للتأكيد على مسألة التآلف والصراع، لا شك أن

أيمن كان يجد لذة كبيرة في صراع شخصيات الدمى في ما بينها. هذا الصراع الذي لا بد من أن يؤدي في النهاية (كما في سياق النص) إلى خاسر ومنتصر.

ومهما تكلمنا عن موضوع التآلف والتشاكل بين العناصر، يبقى الصراع أساساً لبناء درامية الحدث، تماماً كما بين الأبيض والأسود، الخير والشر، الحب والكراهية، الخ.

أما لماذا جعل أيمن الغراب يصارع وحده كل هذه الشخصيات وينهزم في كل مرة أمامها، فذلك يعود إلى تأثر أيمن بأحداث إحدى المسرحيات، وكان الغراب فيها يمثل الشر، وفي ذلك دلالة واضحة على الرغبة في انتصار الخير في النهاية.

على الرغم من كل ذلك، فإننا سوف نرى، كما في النص، أن الصراع لم يؤدِ بالنتيجة إلى موت الغراب أو هروبه، بل إلى تصالحه مع بقية الشخصيات التي تمثل الخير (معانقة السعدان للغراب في ختام الحكاية).

ما يلفت في نهاية الحكاية هو التالي:

* أن أيمن رغم إرادته في انتصار الخير فإنه لم يلغ وجود الشر إلغاءً تاماً، وفي ذلك إدراك لا واعٍ منه للطبيعة الصراعية للوجود.
* تدل النهاية على أن أيمن الصغير الذي يعيش أجواء الحرب الأهلية في لبنان ويرى تقاتل الناس في ما بينهم، وما يستتبع ذلك من تأثير كبير عليه، تدل على رغبته في الخروج من هذا الواقع عن طريق التآلف وليس الصراع.
* تبقى نقطة أخيرة تتعلق بمسألة نفور الأطفال، عموماً في سن الخامسة من العمر، من التوتر الشديد الذي يزيد على الحد في الحكاية، وإلا كان سياق النص والنتيجة له، هو موت الغراب.

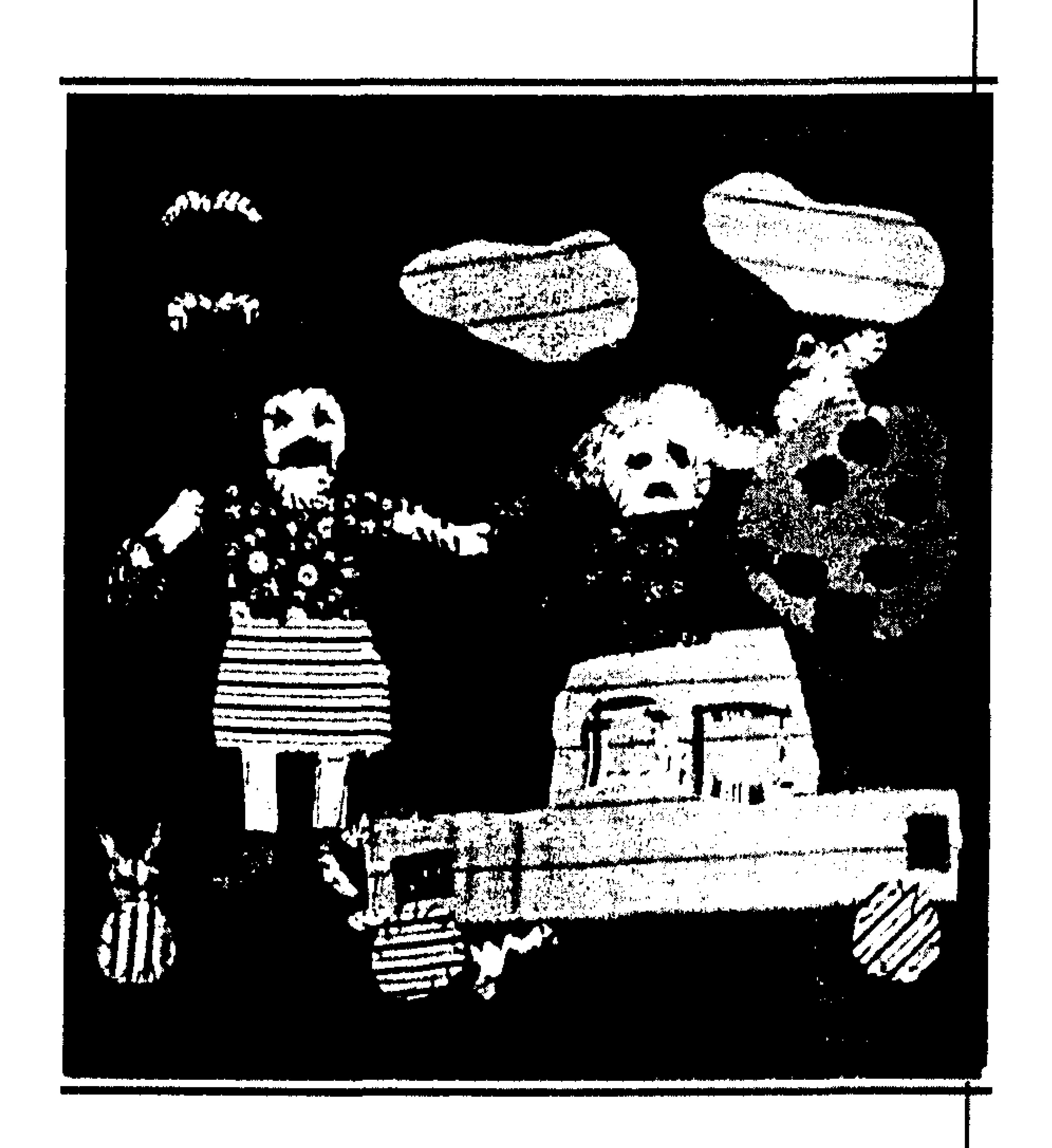


سيارات

سألني بعد تأمل طويل:

■ «بابا ... ما في طرقات بلا سيارات؟».

بيروت، 86/3/16



لا أحب جدتي

اليوم تذكر أيمن جدته. قال:

■ «كانت جدتي يا بابا نائمة على هذا التخت لما ماتت هل ما زالت ميتة؟».

❖ نعم.

■ «طيب، لماذا لم تأخذوها عند الحكيم حتى تعود إلينا؟».

❖ «هل تحبها كثيرًا؟».

■ «لا، أنا لا أحبها أبدًا».

سألته وقد فاجأني جوابه:

❖ «كيف لا تحبها؟».

■ «لا أحبها لأنها ميتة وليست هنا، وأنا عندما أموت لن أعود وأحب حالي».

❖ «ماذا تقول! لم أفهم؟».

■ «أنت لا تفهم عليَّ أبدًا. اسمع. أنا عندما أموت لا أعود وأرى حالي في المراية، يعني أنني لن أكون هنا. وكيف تريدني أن أحب حالي وأنا لست هنا؟».

بيروت في 1985/12/5



دلالات النص

في سؤال أيمن: «هل أن جدتي ما زالت ميتة»... دلالة على عدم وضوح

معنى الموت في ذهنه بشكل حاسم، فالميت ـ بحسب ما يتوهّم ـ يمكنه أن يعود إلينا في أي لحظة، وإلا فما معنى كلمة (ما زالت).

المفارقة القوية في النص، هي، قول أيمن «أنا لا أحب جدتي أبداً» وقوله هذا يتناقض مع رغبته في أن تعود إليه من موتها حتى يراها.

ويبدو أن أيمن لم يكن مهيئاً لفقدان جدته بهذه السرعة، لذلك هو عاتب عليها لأنها رحلت حتى دون أن تنذره برحيلها.

لكن عتابه هذا لا يبرر قوله «أنا لا أحبها أبدا».

فما الذي استدعى هذا القول المفاجىء؟

يُفسر أيمن عدم حبه لجدته بقوله «إنها ميتة وليست هنا» وهذا التفسير لا يمكن فهمه إلا من خلال ربطه بسياق النص الذي يقول فيه «أنا عندما أموت (...) لا أكون هنا، فكيف تريدني أن أحب حالي وأنا لست هنا»؟

لو وضعنا القولينِ معاً «[ليست هنا] و[لسْتُ هنا] تصبح الدلالة واضحة أمامنا، فأيمن كما يوضح السياق، قد ألغى المسافة كلياً بينه وبين جدته، وجعل من نفسه ونفس جدته واحداً، وغياب جدته غيابٌ له، وبالتالي كيف يمكن للغائب (وهو الميت هنا) أن يرى أو أن يحب نفسه؟».

في كل الأحوال، فإن قول أيمن «أنا لا أحبها أبداً» يحتمل النقيض تماماً، فكيف يمكن لمن يتوحد مع شخص آخر أن لا يحب هذا الشخص؟



رغبة

كنت أتناقش مع أمه حول نوعية أفلام الكرتون التي يشاهدها على الفيديو، معظمها عن «توم وجيري» وأنه لا بد من اختيار أفلام أخرى له تتناسب وعمره.

كان قريبًا منّا فالتقط أطراف الحديث وعرف القصد. قال: «إي يا بابا جبلي فيلم سِنانْ».

قلت: «تكرم عينك بكرة الصبح» وتابعت شرب نرجيلتي.

قال: «لأ.... هلق».

قلت: «هلق المحلات سكّرت».

قال: «لأ. بعدها فاتحة» (وهيأ نفسه للبكاء).

قلت: «لا تهددني بدموعك».

لحظات وسبحت عيناه بدمع صامت.
تركته يبكي. قلت: «بكرة يعني بكرة».

بعد قليل علا صوت بكائه ثم ما لبث أن صرخ: «اي لفّا بقا لفّا».

سألته مستغربًا: «شو يعني لفّا».

قال: «الأركيلة».

ابتسمت. تابع بكاءه. تدخّلت أمه «معليش قوم جبلو الفيلم».

تعلّق بكلمة أمه: «إي قوم جبلي سِنَانْ»، قلت لأمه: «هيك بدّك؟».

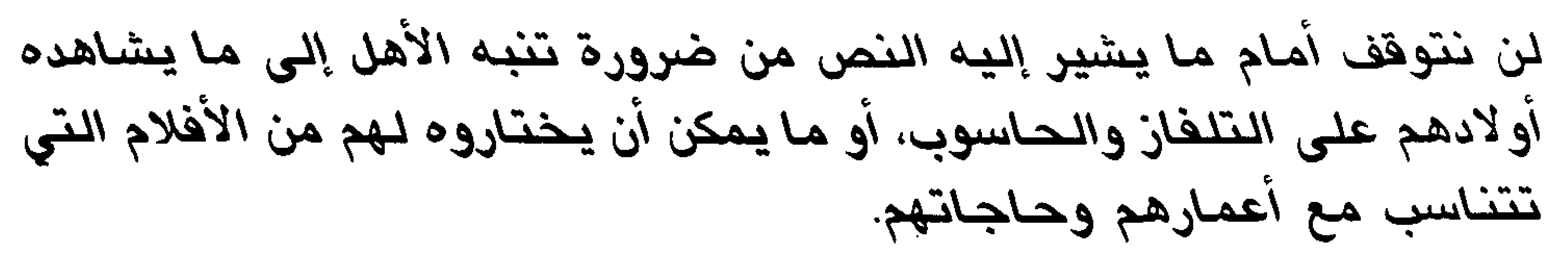
في نهاية الأمر نفّذت رغبة أيمن ككل مرة.

لا أخفي أني شديد الضعف

أمام بكاء أيمن ورغباته

مع أني أدرك تمامًا خطورة ذلك.

بيروت، 1985/12/6



دلالات النص

لن نتوقف أمام ما يشير إليه النص من ضرورة تنبه الأهل إلى ما يشاهده أولادهم على التلفاز والحاسوب، أو ما يمكن أن يختاروه لهم من الأفلام التي تتناسب مع أعمارهم وحاجاتهم.

ما سوف نتوقف عنده، هو تعامل الأهل مع رغبات أولادهم.

في النص يبدو أنني كنت ضعيفاً أمام رغبة أيمن، ولم أقدر إلا على تحقيق هذه الرغبة أمام إلحاحه. والنص يشير أساساً إلى خطورة ذلك. فما هي هذه الخطورة؟

من المعروف أن أولادنا لن يبقوا معنا طوال العمر، وهم سرعان ما ينفصلون عنا، عندما يكبرون، ليعيشوا حياتهم الخاصة. وإذا كان الأهل يسعون جاهدين لتوفير كل مستلزمات الحياة لأولادهم، من طعام وشراب وتعليم، ورعاية صحية ونفسية، فإنهم يقومون أحياناً بشيء من المبالغة في ذلك. وهذه المبالغة قد تضر مستقبلاً بأولادهم. فالحياة خارج إطار الأسرة مختلفة تماماً عن الحياة داخل الأسرة. وفيها ضغوطات ومصاعب لا حصر لها. وإذا كان طفلنا غير مهيأً للتعامل مع هذه المصاعب، بسبب مبالغتنا في رعايته، فإنه سوف يواجه حتماً مشكلة كبيرة في التعامل مع الآخرين وفي تحصيل لقمة العيش، وفي القدرة على التأقلم وعلى ما قد تأتي به الأيام من مفاجآت. وانطلاقاً مما تقدم، يصبح كلامي عن أنني شديد الضعف أمام بكاء ولدي ورغباته، يصبح عديم الجدوى إذا لم يقترن بعملٍ ملموس حتى لا يحصل المحظور.



الغزالة

كنت جالسًا أشرب قهوتي وحولي غابة من الباطون. وكان أيمن واقفًا بجانبي يكلّم نفسه:

■ «تعالي .. تعالي.. أنا أحبك».

حاولت إخفاء ابتسامتي وسألته:

❖ «مع من تتكلم؟».

■ «إيه .. أنت لا تعرف؟ كنت أتكلم مع الغزالة».

❖ «أيّ غزالة؟».

■ «الغزالة التي أحضرت لي فرشة البحر».

❖ «وأين هي غزالتك هذه؟».

■ «هناك. انظر جيدًا، تراها».

❖ «أنا لا أرى شيئًا».

■ «إيه، اختفت. كانت واقفة وراء تلك البناية في الطابق السابع. آخ لو رأيتها يا بابا. كانت جميلة جدًا جدًا».

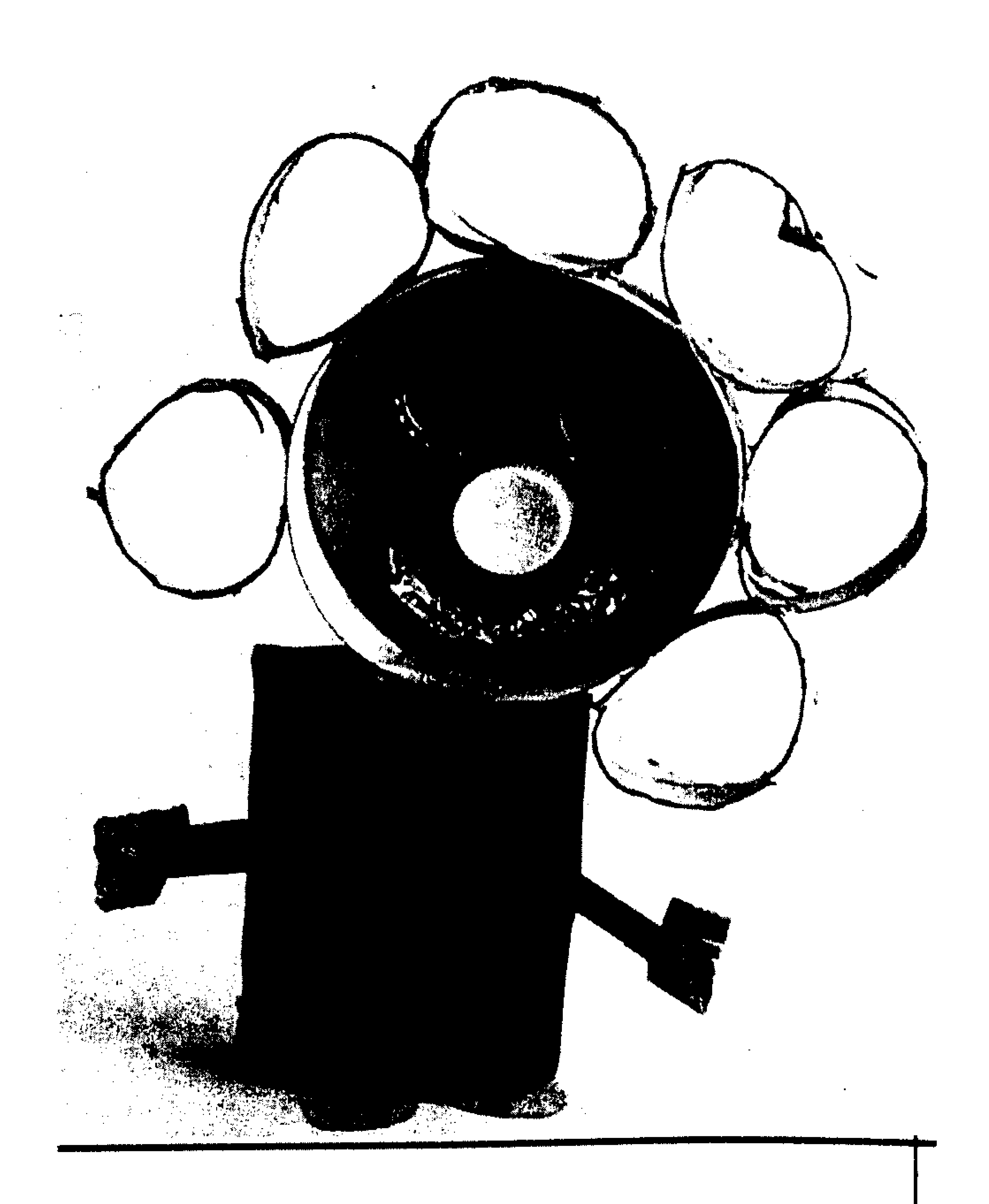
بيروت في 1986/2/6



بينــــا

كلما عانقت أمه أو قبّلتها إندسّ بيننا (بين الجد واللعب) كسحلية.....

بيروت في 1985/4/4



أســـماء... أســـماء

قبل أن ينام حكيت له هذه الحكاية.

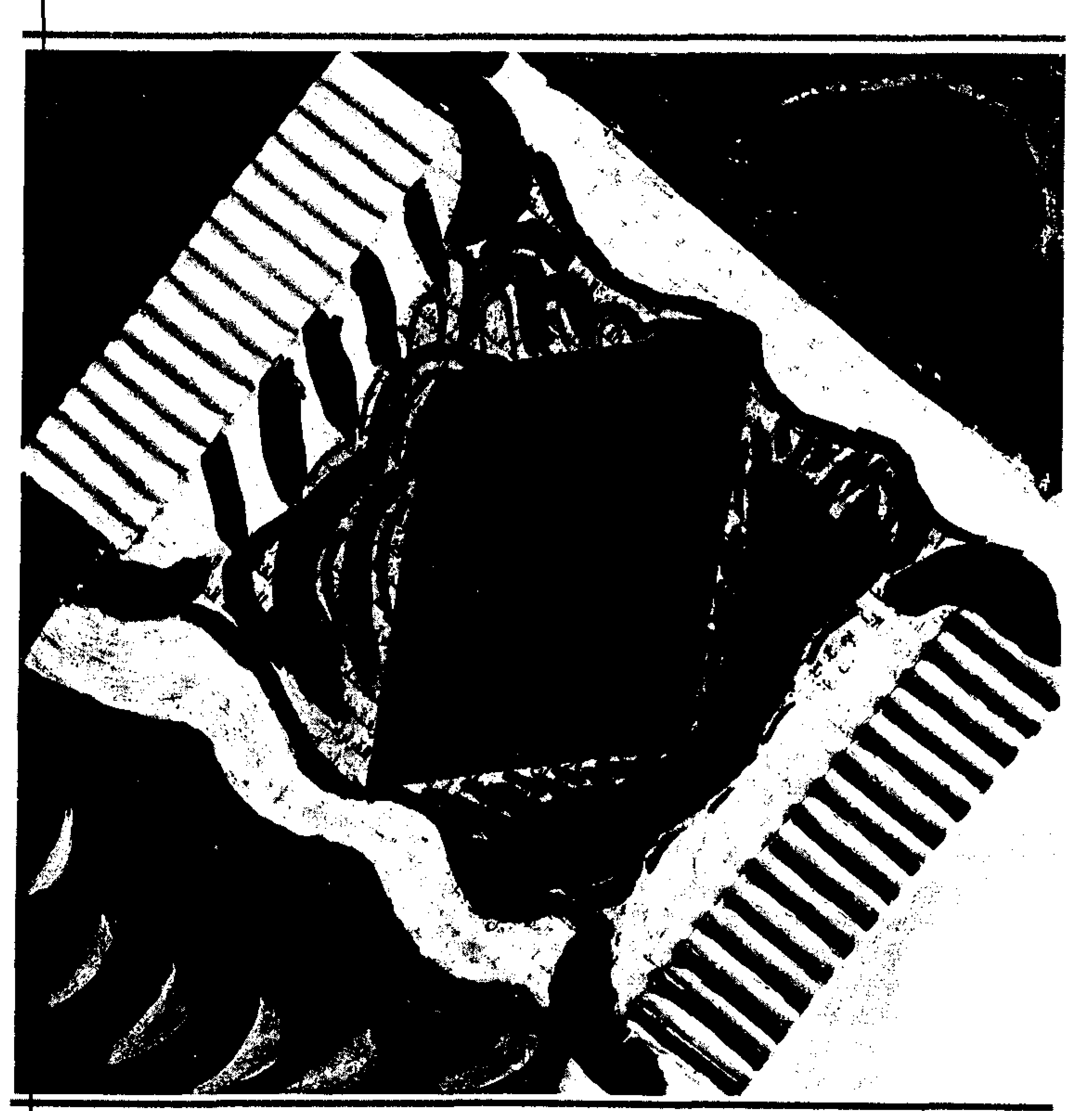
كان يا ما كان كان: في ولد اسمه شباك. شباك راح إلى المدرسة. في المدرسة ضحك الأولاد من اسمه. حزن شباك وقال لأمه:

■ لا أريد هذا الاسم. سمّني اسمًا آخر».

* قالت له : «اسمك الآن «كنباية».

في البيت أصبح إخوته وكل الزوار يجلسون فوقه، كاد يختنق. قال الولد لأمّه: «إنّه اسم متعب. لا أحبه. سمّني اسمًا آخر».

* قالت: اسمك الآن «ركوة».



ولكن كلما أتت جارة من البناية. كانت أمه تملؤه بالماء وتضعه على النار. وكان الولد يحس بالنار تلسعه فيتعذّب. قال لأمه:

■ «لا أريد هذا الاسم، سمّني اسمًا آخر».

* قالت أمه: «اسمك الآن قمر». فرح الولد باسمه الجديد الجميل. ولكن ما إن أتى الليل حتى طار

من الشباك وظلّ يطير ويطير حتى أصبح في وسط السماء. ومن فوق كان يرى بيته من بعيد ويحزن لأنه لا يستطيع اللعب مع أخوته، أو أن يجلس في حضن أبيه ككل ليلة. طلع الصبح وعاد الولد من السماء. قال لأمه:

■ «لا أريد هذا الاسم، لا أريد أن أبقى بعيدًا عنكم وخصوصًا في الليل».

❋ قالت أمه: «اسمك الآن الشاطر حسن».

كان الاسم الجديد جميلاً وليس به أيّ مشكلة. لذلك عاش الولد الذي أصبح اسمه الشاطر حسن سعيدًا طوال حياته.

وتوتا توتا خلصت الحتوتا. لكن أيمن اعترض على نهاية القصة وقال:

■ «خلّيه يرجع لإسمو».

❖ قلت: «ولكن اسم الشاطر حسن جميل».

■ قال: «لأ .. خليه يرجع اسمو شباك. مثل ما كان أحسن». قلت وعندي رغبة في حسم النقاش:

❖ «الولد الصغير جرّب كل الأسماء. ورأى أن اسمه أجمل الأسماء. لذلك عاد إليه اسمه القديم «شباك» وعاش مع أهله بسبات ونبات وخلّف صبيانًا وبنات».

وتوتا توتا خلصت الحتوتا.

بيروت، 1984/5/12



تجريد

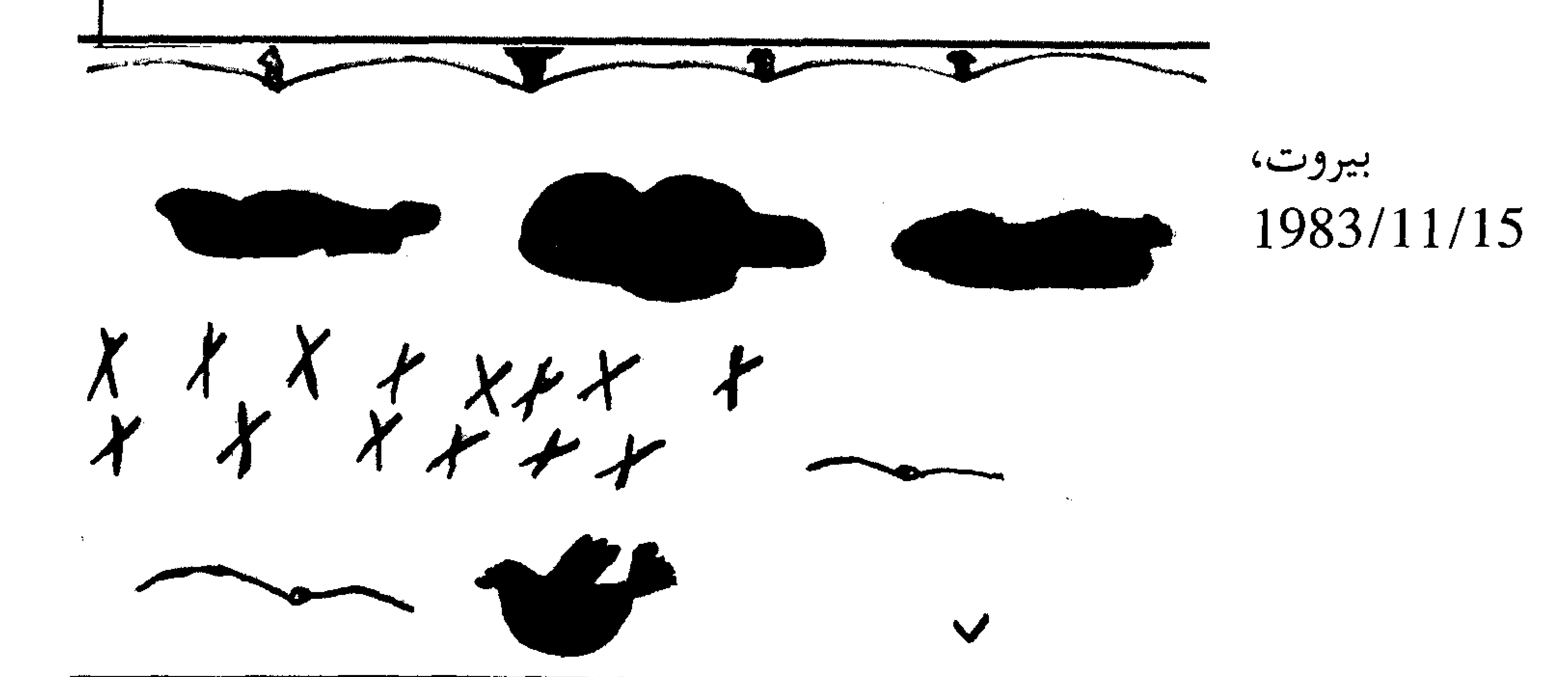
رسم أيمن خطًا عموديًا، انحنى في وسطه وتابع الصعود. في أعلاه رسم خطين متعاكسين، قال: ـ «هيدي شجرة».

بيروت، 1983/11/11



رسم إشارة (×) وقال: ـ «هيدي فراشة».

بيروت، 1983/11/15





السعادة

وضعته على ظهر حصان خشبي يعلو قليلاً وينخفض بشكل آلي ومتكرر.

في حين كان في قمة سعادته. كنت أتساءل عن سرّ هذه السعادة الآتية من حصان كنت وما زلت أعتبره سخيفًا بحركته البليدة المتكررة.

بيروت، 1984/6/3



تفاصيل

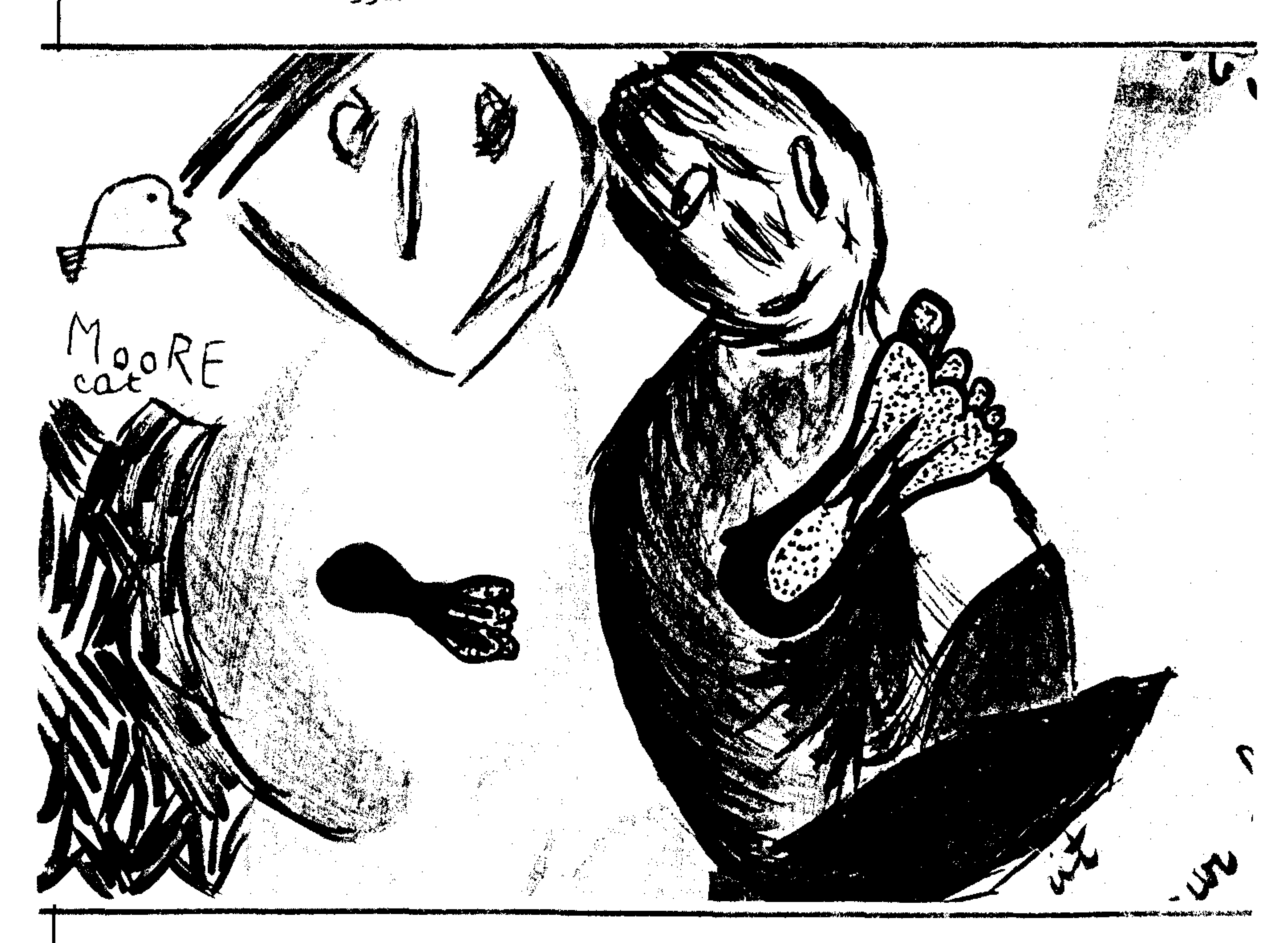
قرأت له حكاية من كتاب. وكان في الحكاية صورة لثعلب يتودد لحمل.

قلت لأيمن: «احكيلي شو شايف بالصورة».

انتزع أيمن الكتاب من يدي وراح يتأمل الصورة، كنت انتظر منه أن يعدد لي الأشياء التي أراها. لكنه فاجأني حين لم ير من الصورة سوى تفاصيلها الصغيرة (التي أهملتها أنا).

رأى من الذئب كله أظافره، ومن الحمل كله الجرس الصغير المعلق في رقبته، ومن الشجرة كلها ورقة صفراء تسقط منها.

بيروت، 83/10/11





أفكر في دواء يجعلني كبيراً



رجعت من العمل، فوجدته جالساً عند جدته ويده على خده.

سألته: ماذا بك؟

قال: لماذا تتأخر أنت والماما كثيراً.

قلت: ماذا نفعل، عملنا يتطلب ذلك.

قال: وهل يجب عليكما أن تشتغلا؟

قلت: طبعاً، وإلا كيف تريدنا أن نعيش؟

قال: طيب... كيف تعيش الهرة وهي لا تعمل؟

قلت: وهل نحن هررة؟

قال: لا نحن ناس.

قلت: من أجل ذلك، يجب أن نعمل لنعيش.

بعد هذا الحوار، تركته للحظة ورجعت لأجده وهو ما زال على حاله، يده على خده، وعلامات الحزن بادية على وجهه سألته: ماذا بك؟ لماذا تضع يدك على خدك هكذا؟

قال: كنت أفكر في دواء يكبِّرني بسرعة.

بيروت، 1985/1/5

أنا مع القوي

ربط صاحب القصر، الرجل الأسود إلى الشجرة وراح يضربه بالسوط، ظل يضربه حتى تشقق ظهره وسال دمه.

سألني أيمن وهو يتابع المشهد على شاشة التلفاز.

قال: أنت مع مَنْ؟

قلت: أكيد أنا مع الرجل الأسود.

قال: أنا مع صاحب القصر.

قلت: ماذا؟ ألا ترى ماذا فعل بالرجل.

قال: رأيت كل شيء، ومع ذلك، أنا مع القوي...

بيروت 85/2/1



نقود

فتحت علبة بلاستيك مليئة بالنقود المعدنية لدول متعددة. تناولت منها قطعة ورحت أتأملها.

قال أيمن: «ما لازم نشتري فيها يا بابا».

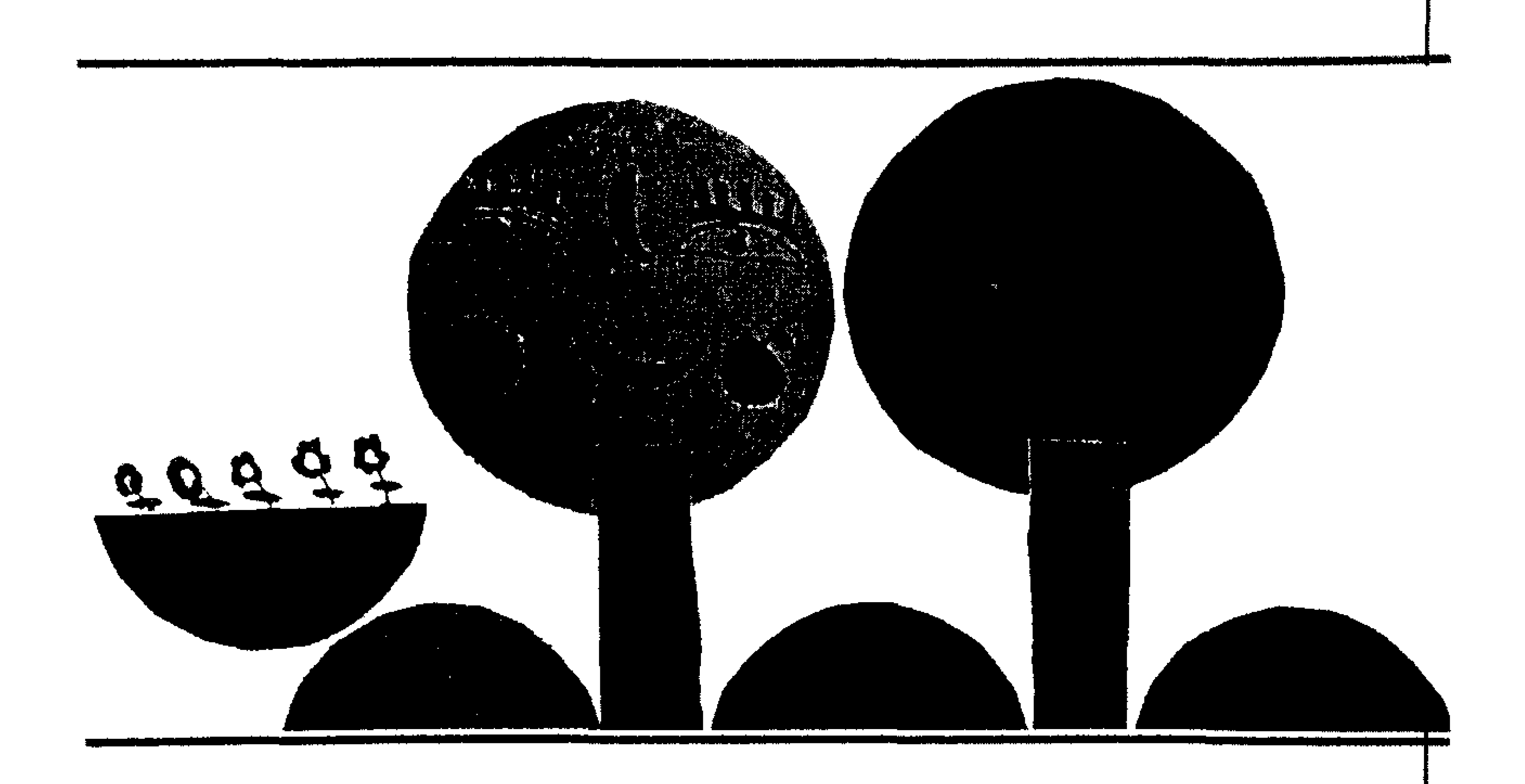
سألته: «ليش؟».

قال: «لأنها مصاري إسرائيلية».

قلت: «لأ... مش إسرائيلية» (كانت القطعة، عملة فرنسية).

قال: «اتطَلع منيح، ما شايف كيف مكتوب عليها؟».

بيروت، 1985/3/7





بوكس

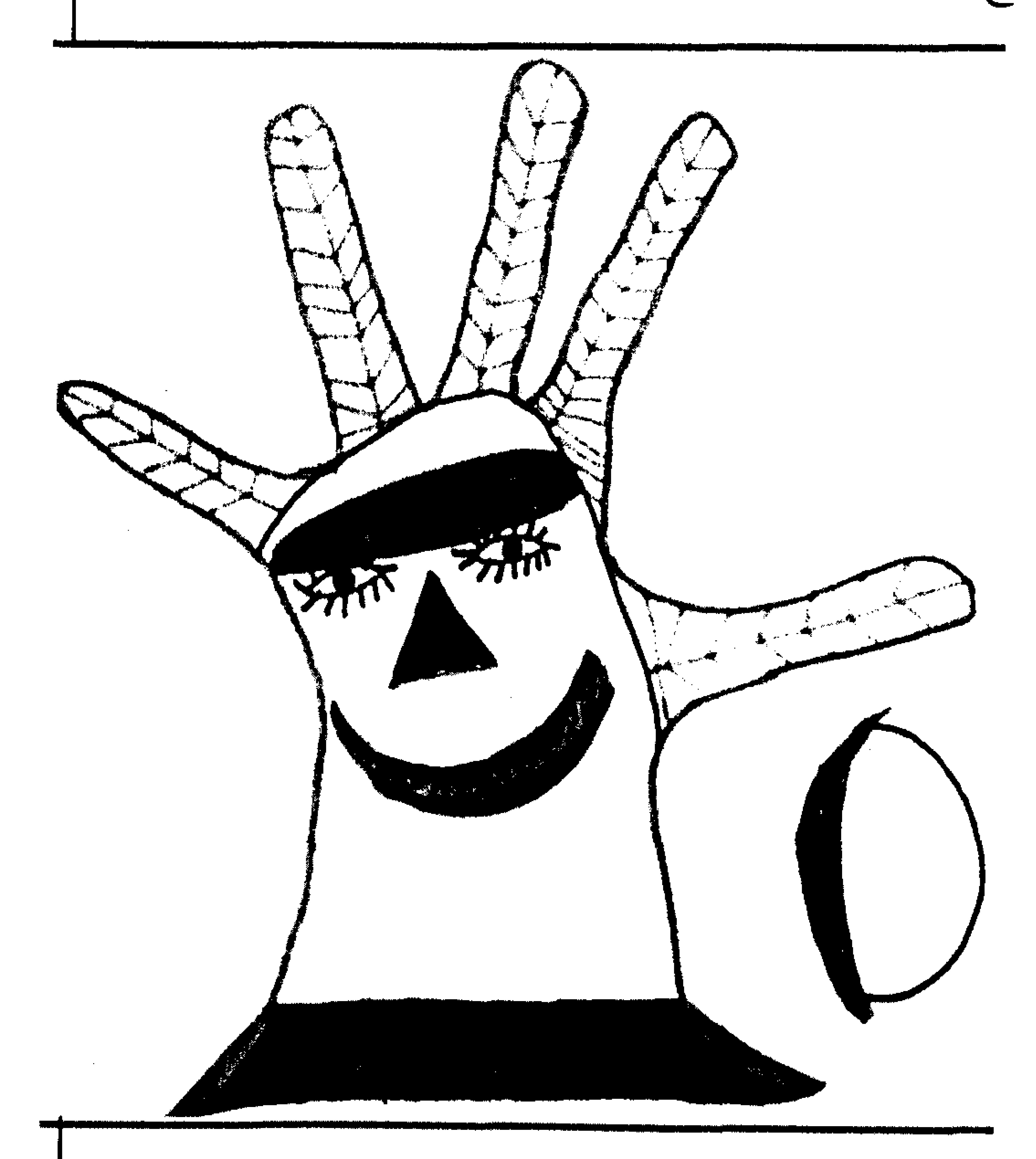
كان يقفز في أنحاء الغرفة مقلداً حركات بطل الكرتون التلفزيوني غريندايزر، ويضرب الهواء بقبضة يده.

حين لاحظ أني أراقبه قال: «بابا إذا إجا «سعدو» بدو يضربني، سأضربه بوكس وسأعليه على السما حد الطيارة».

قلت: «إذا طار للسماء، بيوقع وبموت».

قال: «لأ... ما بموت».

قلت: «مبلا، إذا طار كثير بيوقع وبموت».



قال: طيب، بضربه بوكس بعليه حد راسي بس، وهيك بيوقع وما بموت».

بيروت 85/6/5



الليل والنهار والغربان

قال: «تعال يا بابا، لماذا أنت جالس في غرفتك وحدك».

قلت: «ألا ترى أنني مشغول؟.

قال: «يكفي كتابة، تعال، أحكِ لي حكاية».

سحبني من يدي إلى الصالون.

قلت: «ماذا تريد أن أحكي لك».

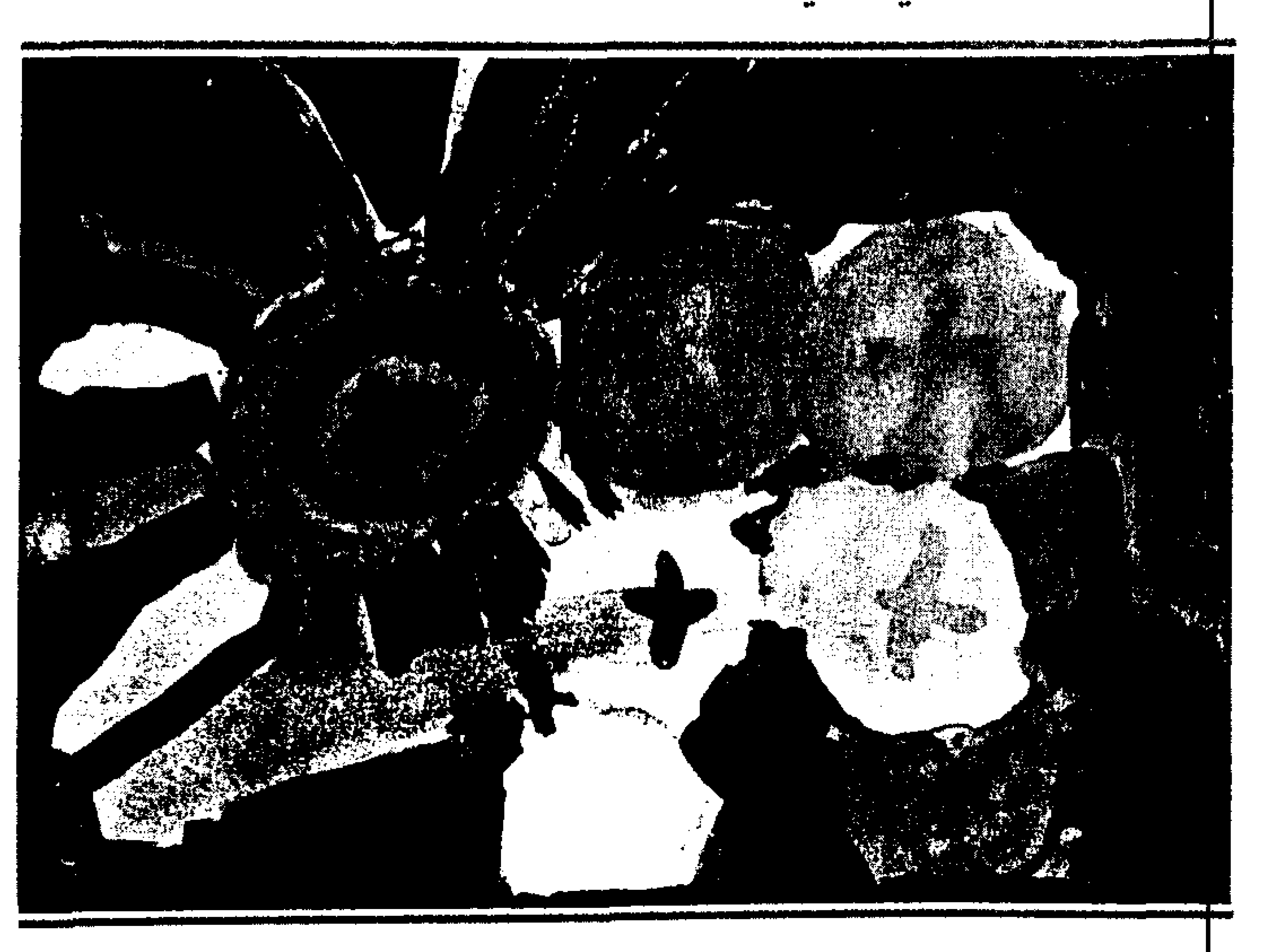
قال: «مثلما تريد».

قلت: «طيب اسمع».

وبدأت أروي حكاية مرتجلة.

كان يا ما كان كان هناك ولد يمشي في الليل، فجأة انقطعت من الليل قطعة صغيرة وصارت غراباً... صار الغراب يطارد الولد... بعد ذلك انقطعت من الليل قطعة ثانية وثالثة وعاشرة وألف قطعة وقطعة، حتى صار الليل كله غرباناً.

نظر أيمن إلي وفي عينيه ابتسامة وقال:



* يعني صارت الدنيا نهاراً.

قلت: لا، بقيت الدنيا ليلاً.

لم يقتنع أيمن بكلامي فقال متعجباً:

* كيف يكون ذلك، الليل صار كله غرباناً،

فماذا جاء مكان الليل؟

قلت: صحيح، ماذا جاء مكان الليل؟

قال: (بثقة تامة) جاء النهار.

قلت: حسناً، صارت الدنيا نهاراً فخافت الغربان وهربت.

قال: إلى أين ذهبت.

قلت: لا أعرف.

قال: حسناً، والولد ماذا حصل له؟

قلت: لا شيء، رجع إلى البيت ونام، وتوتا توتا خلصت الحتوتا.

قال: ما هذه الحكاية، لا... ليست جميلة... احكِ لي حكاية غيرها.

قلت: لقد تعبت.

قال: حكاية واحدة فقط.

قلت: وقد أعياني الكلام.

* حل عني، ألا تفهم؟ لقد تعبت.

هنا تركني أيمن والتصق بجدته وراح يتمتم: إنشاء الله تأتي جميع الغربان وتغطي السماء كلها ولا تذهب أبداً أبداً لا في الليل ولا في النهار.

هنا ضحكت وسألته: لماذا تريد أن يحدث ذلك؟

قال بحزم: هيك، أنا حر.

بيروت 85/7/7

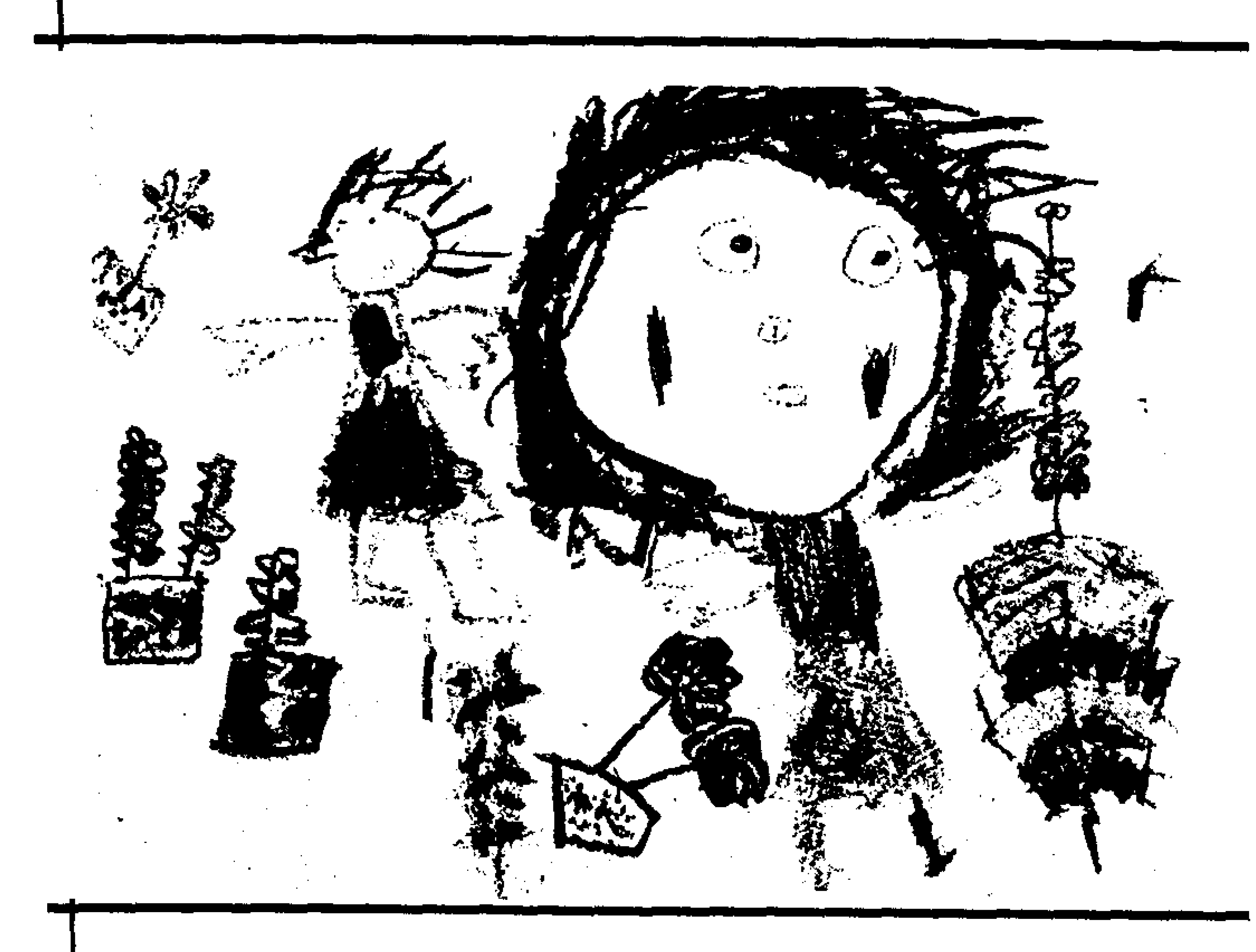


شمس وشعرها الطويل

❋ بابا... لكَ أكثر من يومين لم تحكِ لي حكاية.

❋ اليوم ما في حكاية.

❋ الله يخليك، حكاية صغيرة فقط.



❋ قلت لك أنا متعب ولا أقدر أن أحكي.

عندها تهيأ أيمن للبكاء، قلت:

❋ حسناً... حسناً لا تبكِ، اسمع، ماذا تريد أن أحكي لك.

بسرعة عاد البريق إلى عيني أيمن وقال:

❋ عن التمثال والبارودة.

ثم قام، التصق بي، نظر إليَّ كأنه يقول أنا حاضر... قلت:

كان يا ما كان، عن شكي عن بكي عن جعفران البرمكي، عن ستي أم سليمان.

❋ لا تقول عن ستي أم سليمان.

❋ طيب اسمع.

كان هناك مدينة ما فيها ولا شجرة وكانت المدينة ملآنة بالمسلحين والدبابات لذلك لم يستطع الأولاد أن يلعبوا أو يذهبوا في مشوار مع أهلهم. في أحد الأيام نزل الأولاد إلى الشارع، كل الأولاد، أكثر من مليون ولد وولد وقالوا: ما بدنا الكبار يقوصوا. بدنا نروح مشوار. لكن الكبار لم يسمعوا كلام الأولاد وظلوا يطلقون

الرصاص. وعاد الأولاد إلى بيوتهم خائفين. وكان بين الأولاد بنت صغيرة اسمها؟ اسمها؟ ماذا نسميها يا أيمن.

* نسميها شمس.

قلت: شمس قالت لشعرها الطويل،

طِرْ يا شعري الجميل في الهواء... وطار شعر شمس في الهواء وفجأة طار من شعرها شعرة طويلة، نزلت على دبابة وحوَّلتها إلى شجرة. وطارت شعرة ثانية ونزلت على بواريد المسلحين وحوَّلتها إلى ورود ملوَّنة جميلة.

قاطعني أيمن قائلاً:

* يعني خلص. لم يعد هناك مسلحون ولا رصاص؟

* صحيح، ولم تمضِ لحظات حتى طارت شعرة من شعرات شمس وحوَّلت المزابل إلى حدائق جميلة وشجر وعصافير وألعاب.

فرح الأولاد كثيراً، ولكن فجأة نزل إلى الشارع رجل مسلح كان مختبئاً، وراح يطلق الرصاص في كل الاتجاهات.

اتسعت عينا أيمن وقال:

* ماذا فعلت شمس.

* طارت شعرة من شعرات شمس وحطت على الرجل المسلح وحولته بسرعة إلى تمثال من حجر. وتوتي توتي خلصت الحتوتي.

ما إن انتهيت من حكايتي حتى لمعت عينا أيمن وأطلق أمنية من صميم قلبه:

* يا ليت شمس هنا.

بيروت 86/10/2



لعبة الامتحان

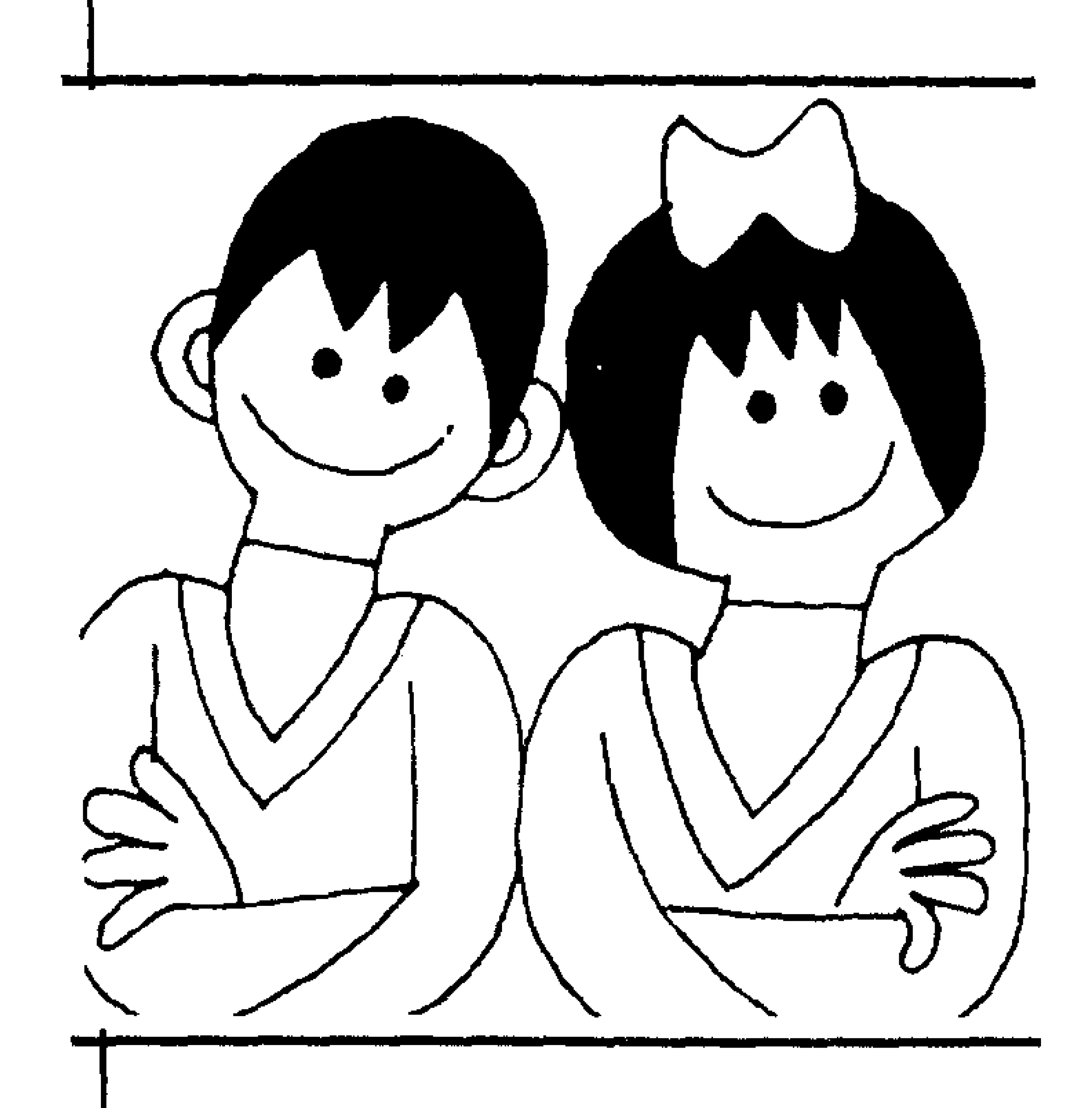
مع عودتي وأمه من العمل بادرني قائلاً:

«اليوم عم نلعب لعبة الامتحان، أنا ورندا ومحمد ووصال. قامت رندا ولعبت لعبة ما حلوة».

سألته: «شو يعني ما حلوة؟»

قال: «يعني صارت تضرب الأولاد. أنا بطلت ألعب معها. بس هي ضلت تلعب معي».

بيروت 85/11/30



الحياة أقوى

ـ ماما، أنا خائف، بكرة سنموت كلنا، أنا وأنتِ وبابا، ثم تحول عن أمه ليسألني: بابا، هل تعرف متى سنموت؟. فاجأني سؤاله، قبل قليل لم يكن به شيء، كان يلعب ويضحك، تساءلت، كيف يفكر في الموت خلال لحظات اللعب، حاولت التهرب من سؤاله فانشغلت عنه بقراءة جريدتي... عندها قام أيمن ومشى مغمض العينين، ماداً يديه إلى الأمام، مشى في صالون البيت، وقد رأيته وهو يتعمد الاصطدام بجانب الكنبة، فوقع على الأرض وصرخ متصنعاً الألم...

قلت له: ما بك؟

ضحك من غير أن يتحرك من مكانه، وقال: هل أنت أعمى لا ترى... أنا ميت لا أتحرك.

قلت له: هيا قم واحضر لي شربة ماء، أنا عطشان.

قال: «لا أقدر، أنا ميت والميت لا يتحرك».

سحبته من يده وقلت: «اذهب واحضر لي شربة ماء»: لم أترك له مجالاً للتردد وقد أحس بذلك من صوتي... قام وأحضر لي شربة ماء. وبينما أنا أشرب عاد يسألني.

* بابا، لم تجب عن سؤالي، «نحن متى سنموت».

جلست على الكنبة وقد أُسقط بيدي.

قلت: لا أعرف.

قال: أنت كبير ويجب أن تعرف.

قلت: يموت الواحد، عندما يمرض أو يكبر كثيراً.

قال: يعني سنموت أكثر.

قلت: لا... فقط سنموت.

قال: يعني لا نعود نرى بعضنا ولا نحكي مع بعض.

قلت: هذا صحيح.

قال: طيب الواحد، عندما يموت كم يكون عمره.

قلت: يمكن أكثر من مئة سنة.

قال: ويمكن أكثر من ألف سنة.

قلت: لا أعرف.

سأل: طيب كل الناس تموت؟ أم أن هناك أحداً لا يموت».

قلت: كل الناس.

بعد هذا الحوار أسند أيمن رأسه إلى كتفي، فقلت له:



* ماذا بك؟

قال: أنا خائف من الموت.

قلت: لا تفكر في ذلك يا بابا، فكر في ألعابك وأصدقائك، ما رأيك لو آخذك عند سيمون».

لم أكد ألفظ اسم سيمون حتى قفز صارخًا ويملؤه الفرح: «ياي»... وأسرع لينتعل حذاءه.

بيروت 86/3/3



أين سألعب؟

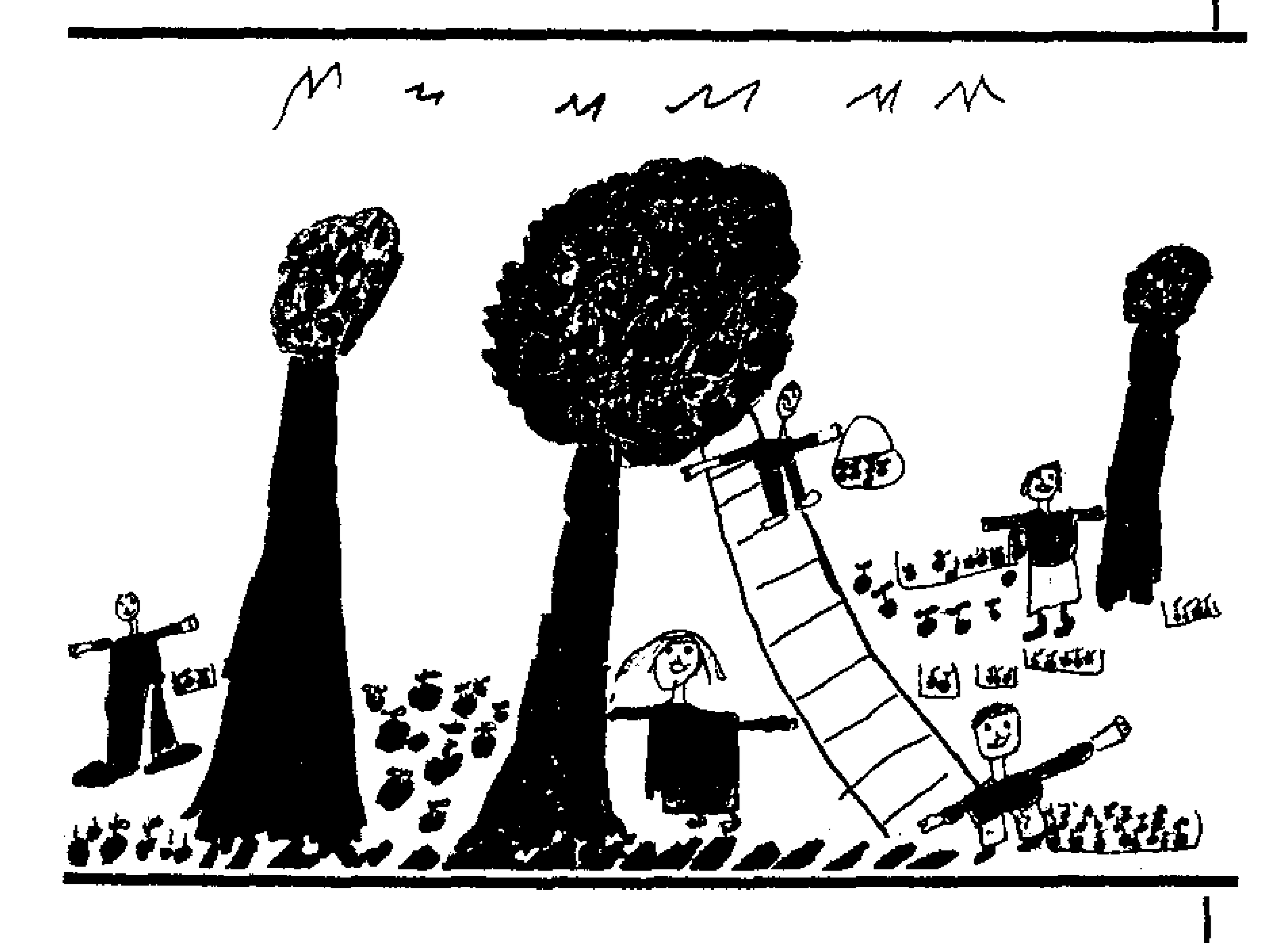
فجأة، وكالعادة، انطفأت الكهرباء، حمل أيمن طابته الصغيرة إلى الصالون، ضرب الطابة بالأرض، قالت له أمه:

* لا تلعب هنا ستكسر الضوء.

حمل الطابة وذهب إلى ناحية أخرى من الصالون.

ضربها بالأرض، قلت له:

* كنت ستكسر المزهرية، اذهب من هنا.



حمل طابته ورماها في سماء الغرفة فلامست شاشة التلفزيون، صرخت أمه:

* ستكسر التلفزيون ألا تفهم.

وقف أيمن بيني وبين أمه واضعاً يديه على خصره ثم صرخ.

* طيب أين سألعب؟ قولوا لي أين سألعب.

قالت أمه: بعد قليل تعود الكهرباء، وتذهب لتلعب في غرفتك.

لم تمض لحظات حتى عاد الضوء. وسمعنا صرخة الأولاد من البنايات المجاورة، فرحة بعودة النوَر. نط أيمن وحمل طابته. قالت له أمه:

* تعال هنا، إلى أين أنت ذاهب؟

* إلى غرفتي، سألعب هناك.

* لا... غداً عندك مدرسة ويجب أن تأكل ثم تنام.

وطفرت الدمعة من عيون أيمن وقال بحسرة وتأفف.

* أف... ما هذا... يظهر أني لن ألعب أبداً.

بيروت 85/1/2



ضحك وبكاء

كنت أشرب قهوتي الصباحية وكان أيمن في غرفته عندما سمعت صرخته. قفزت من مكاني واتجهت بسرعة نحو غرفته فوجدته مرتمياً على سريره باكياً وقد غسلت دموعه وجهه، أحطه بذراعي، سألته:

* ماذا بك؟



فجأة راح يضحك ويضحك ويضحك والدموع ما زالت في عينيه، ارتبكت للحظة وتساءلت، كيف يمكن له أن يبكي ويضحك في آن.

قلت له وأنا ممسك بيديه:

* اجمد واحكِ لي، ما الحكاية؟

* لا شيء، كنت أمثّل.

* تمثل!! وهذه الدموع التي تغطي وجهك وتملأ عينيك، من أين أتت؟

* إي... أنا قلت لنفسي، أريد أن أبكي، ووقفت أمام المرآة، وصرت أبكي، هل رأيت يا بابا، أنا أقدر أن أمثّل، بكره لما أكبر سأصبح ممثلا.

وبينما أنا أمسح دموعه سألته:

- فيمَ فكرت حتى استطعت أن تبكي؟

- لم أفكر في شيء، مددت يدي هكذا (فرد يديه) وصرت أقول:

- «يا حبيباتي ما كان يجب عليَ أن أفعل بكم هكذا»، وبقيت أحكي وأحكي حتى بكيت.

بيروت 86/11/4



الحفلة

اليوم يوم أحد، أخذته مع سيمون ورندا إلى حفلة خاصة بذكرى المولد النبوي الشريف، خلال الحفلة بكى أيمن. ساعة لأنه لا يقدر أن يجلس وحده مع الأولاد، وساعة لأن الحفلة لا تعجبه (يا بابا ليش الحفلة هيك!)، وساعة لأنه لا يرى من رؤوس الأولاد الواقفة أمامه.

المهم أن أيمن أزعجني كثيراً طوال فترة قبل ظهر هذا اليوم، لذا وبعد انتهاء الحفلة عدت به إلى البيت مضطرباً من تصرفاته وبكائه غير المبرر (على الأقل بالنسبة إلي).



دخلت البيت بعد أن صفعت أيمن منفعلاً من سلوكه وبكائه الذي لم أعرف لتواصله سبباً، بعد ذلك جلس ساكناً يقلّب بين يديه الهدية التي حصل عليها من الحفلة، تركته وخرجت من البيت.

بعد عودتي أخبرتني أمه بما دار بينه وبينها من كلام.

قالت له: «شايف يا أيمن كيف عملت! أبوك ما رح ياخدك معو ولا مشوار».

أجابها أيمن بثقة: «معليش، كل مرة بيعمل هيك، بيزعل مني وبيرجع يحبني وياخدني مشوار».

قالت له: «على كل حال ما عاد يأخد معه للحفلات إلا سيمون».

قال بهدوء: «اسمعي وبلا مشاكل، افهمي علي، أنا بكرة لما أكبر بضرب سيمون ضربة بحطو بالأرض، وبروح أنا وحدي مع بابا».

بيروت 85/12/8

دلالات النص

ما زلت حتى الآن وبعد مرور أكثر من 18 سنة على هذه الحادثة، أشعر بالخجل من نفسي لإقدامي على صفع أيمن. لماذا صفعته؟ لماذا صرخت في وجهه منفعلاً، إن الأسباب التي دفعته للبكاء قوية وواضحة لدرجة كبيرة، والنص يوضح ذلك بدقة (بكى أيمن، ساعة لأنه لا يقدر أن يجلس وحده بين الأولاد، وساعة لأن الحفلة لم تعجبه، وساعة لأنه لا يرى من رؤوس الأولاد الواقفة أمامه».

هو يريد أن يشاهد أحداث الحفلة، لكنه لا يستطيع ذلك من رؤوس الأولاد، وكيف يمكن له أن يحب شيئاً غير قادر على التواصل معه، وعدم قدرته على الرؤية وبالتالي التواصل، سببان كافيان لبكائه، ورغم ذلك فإن بكاءه أزعجني.

هل الأمر متعلق بسلوك أيمن، أم بعدم قدرتي آنذاك على تفهم الأسباب التي دفعته إلى البكاء؟

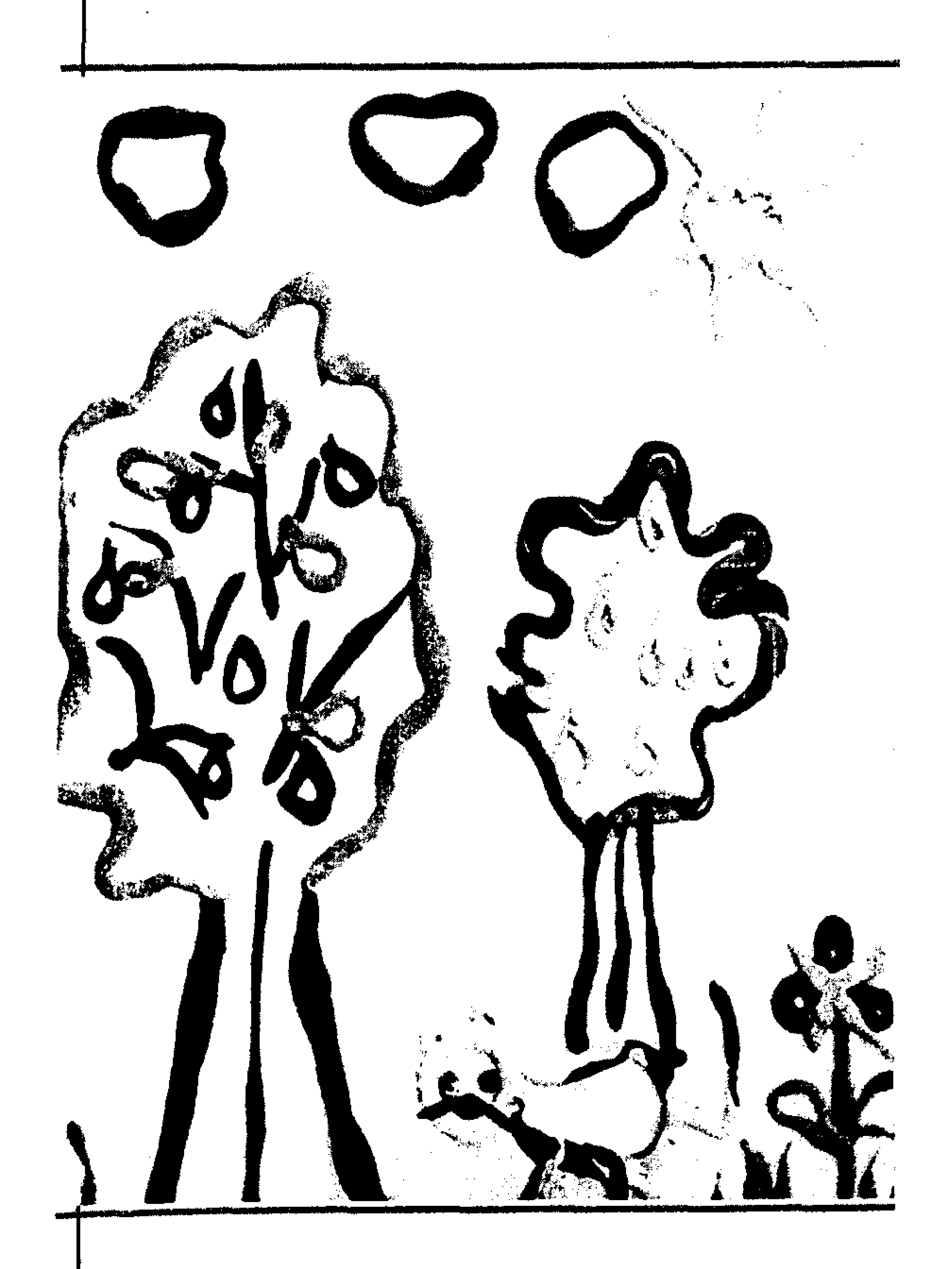
إن أسوأ ما في الأمر أن نحاسب أولادنا على شيء لم يقترفوه، وأثر هذه المحاسبة غير المبررة (الصفعة والانفعال) لا بد من أنها ستظل تحفر عميقاً في نفوس أولادنا.

ليت الدنيا

كنا نحضّر طعام الغداء، أنا وأمه، وكان يلعب في غرفته عندما سمعناه يدندن مترنماً بهذه الجملة:

«يا ريت الدنيا، كل الدنيا، بيت واحد، كنّا أكلنا وشربنا ولعبنا مع بعض».

بيروت 86/11/11





بين اللعب والصراع

كنت ألعب معه في لعبة «الأتاري» وكانت اللعبة «حرب الطائرات» كانت طائرتي سوداء، وطائرته بيضاء.

وكنت أطلق على طائرته النار وأصيبها كل مرة... بدأ يغضب شيئاً فشيئاً، فزدت من طلقاتي وإصاباتي لطائرته، حتى كاد يبكي.

قلت: ما بك؟ نحن نتصارع.

قال: لا نحن نلعب.

بيروت 86/3/9



ماذا يريد؟

انتهينا أنا وزوجتي من تناول الغداء وجلسنا نتحدث. كان أيمن واقفاً بالقرب منا يتسلى بحبات البسكوت. قليلاً وتقدم يسألني:

ـ بابا غسلت يديك؟».

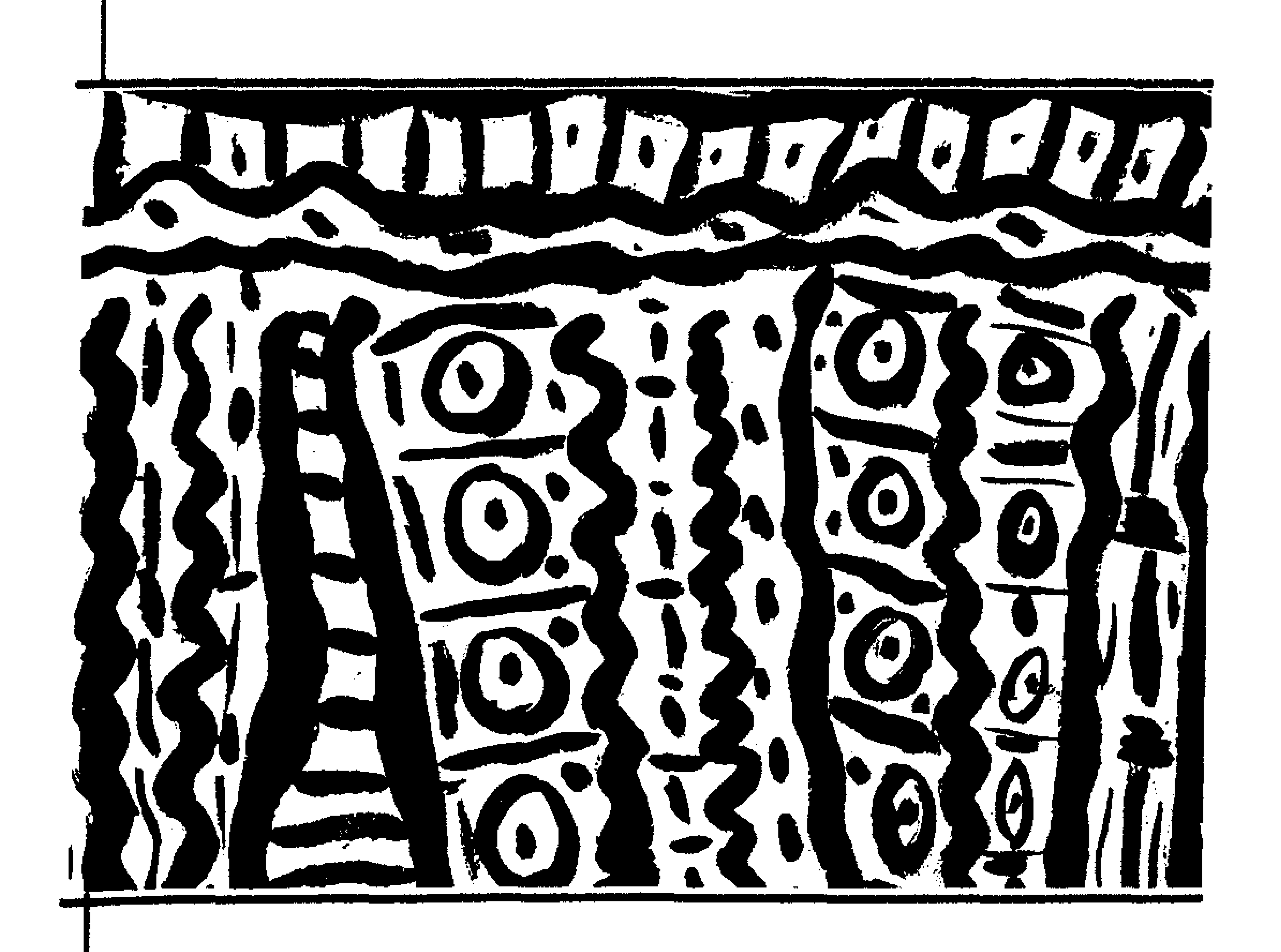
قلت: «لأ...» توجه نحو أمه:

ـ «ماما غسلت يديكِ؟»

قالت: «لأ».

عندها قال بحسرة ـ: يعني رح ضلْني واقف هيك!».

بيروت 84/3/3





آه... فهمت

فجأة ودون مقدّمات سألني: ـ بابا شو يعني بكرة الأحد، حاولت تفسير الأمر له فقلت: «يعني لما نروح مشوار».

قال: هلق الأحد؟

قلت: «لأ... بعد تلات تيام».

سأل: «يعني قديه تلات تيام؟»

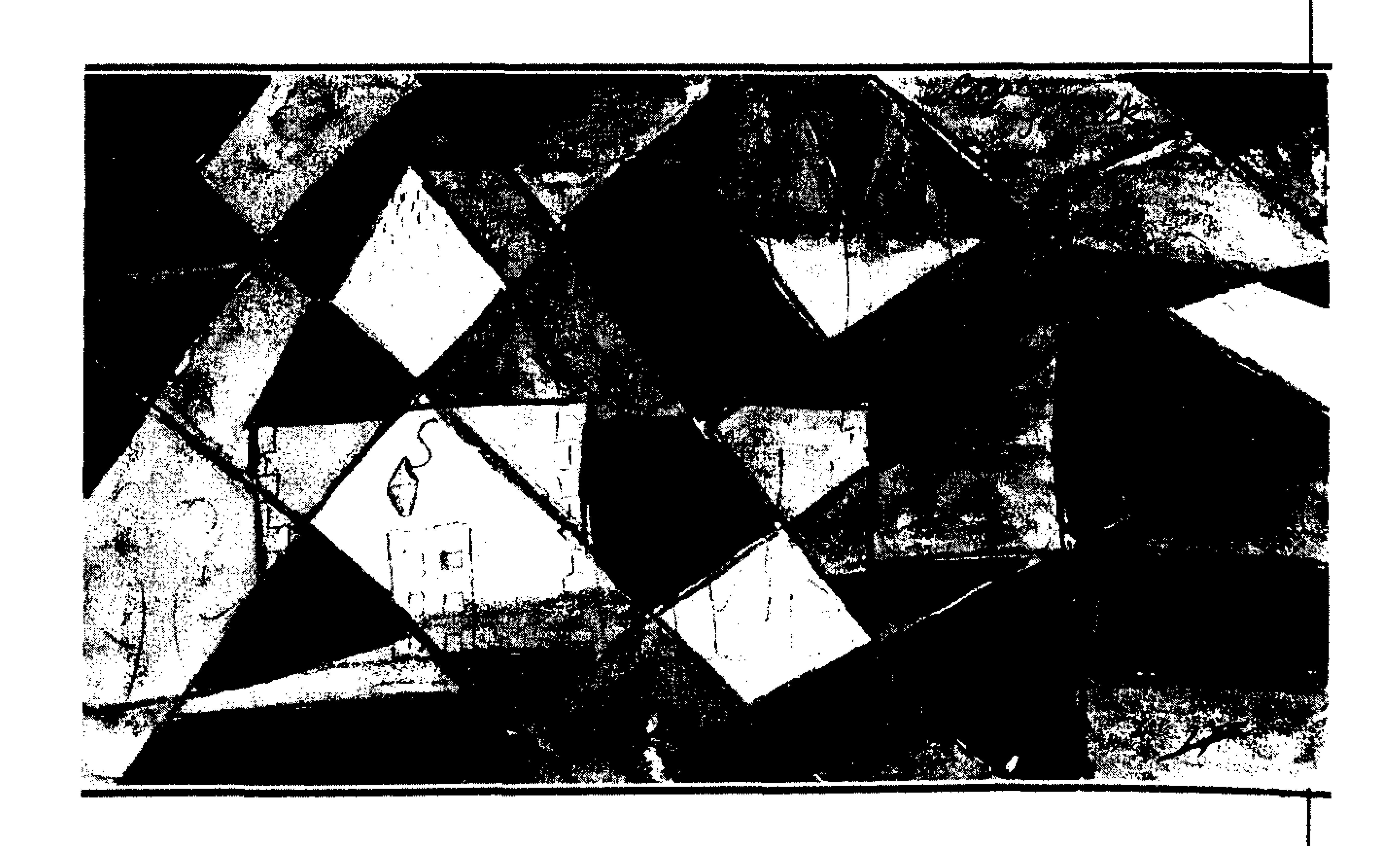
قلت: «حاج تحكي وقوم نام. بكرة عندك مدرسة».

قال: «شو يعني بكرا».

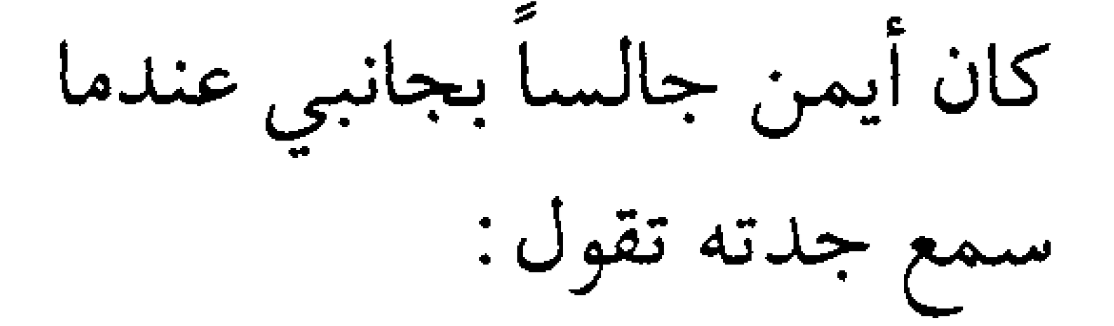
قلت: يعني لما ننام ونفيق».

قال: «آه... فهمت».

بيروت 84/4/3



كلنا سننام إلا خطوط التماس



كان أيمن جالساً بجانبي عندما سمع جدته تقول:



* طوال الليل وأنا أسمع صوت انفجارات قوية.

قلت: هذه اشتباكات في صبرا وشاتيلا.

قالت: يعني صار في خطوط تماس جديدة.

قلت متأففاً من الحالة التي وصلنا إليها: «يبدو أن بين كل شارع وشارع سيكون هناك خط تماس جديد؟

هنا تدخل أيمن، وقد وجدها مناسبة للتعبير عن رغبته في السفر إلى الخارج.

* بابا، إذا صار عندنا، هنا في الجامعة العربية، خطوط تماس جديدة، ما رأيك لو نسافر إلى بلاد ثانية وجديدة أحلى من هذه البلاد؟

قلت: اذهب إلى سريرك ونم، غداً عندك مدرسة.

قال محتجاً وقد فاجأني قوله:

* الهيئة، كلنا سننام إلا خطوط التماس ستظل مستيقظة.

بيروت، 1985/3/5

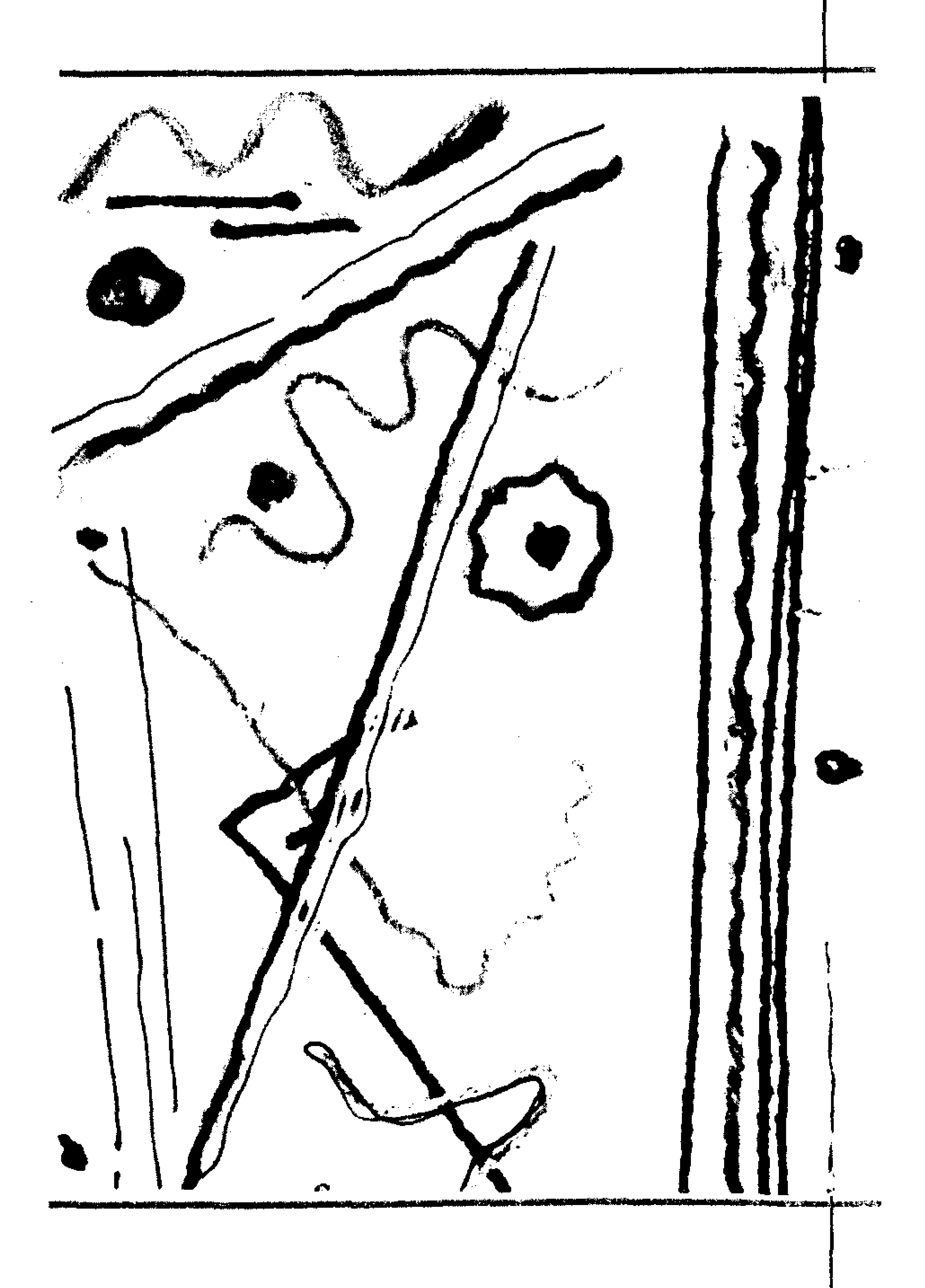


كيف نحكي؟

سألني بعد تأمل. كان ينظر إليّ كأنه ينظر إلى فراغ: ـ «بابا كيف الواحد لما يفتح تمو بيصير يحكي؟».

حاولت أن أفسر له لكنني لم أقدر.

بيروت، 1985/9/23



بلاد الواق الواق



كنت على موعد مع السفر في رحلة عـمـل قصـيـرة لا تجاوز الأسـبـوع، فـمشـيت ومشـى معي أيمـن إلى الـمـخـتـار، وهـو غـيـر مصـدق أنـنـي أحضر نفسي للسفر. ولكن عندما بدأ المختار بإعداد الأوراق وإمضاء الصـور، بـدأ يصـدق مـا يـحـصـل، ولاحـظت أنـه مسـتـاء مـن فـكـرة سفري، فعزفت على إثارة مشاعره أكثر، ولم أعرف خطورة ما عزفت عليه إلا في النهاية... قلت له: لماذا أنت حزين؟

قال: أنا لست حزيناً.

قلت: ولكنني ذاهب في رحلة طويلة إلى بلاد الواق الواق، ولن أرجع إلا بعد زمن طويل جداً.

قال: سافر... افعل ما تريد.

قلت: حسناً، غداً صباحاً سأسافر... هل ستنساني؟

قال: أكيد... وأنت.

قلت: أنا لن أنساك، سوف آخذ صورتك حتى أتذكرك دائماً.

قال: طيب... عندما ترجع، أنا أين أكون؟

قلت: لا أعرف، ربما تكون قد تزوجت وصار عندك أولاد.

قال: يعني عندما تعود، ولن تجدنا في البيت فماذا ستفعل.

قلت: سوف أسأل أمك أين تعيش.

قال: لا... لن تجد أمي في البيت لأنها سوف تعيش معي؟

قلت: مثلما تريد.

وتابعنا سيرنا دون أن يكلم أحدنا الآخر حتى وصلنا إلى صالون الحلاق... وانتظر أيمن دوره وهو صامت.

سألته: فيمَ تفكر...

قال: أفكر في ما سوف أشتريه اليوم؟

لا أخفي أنني تفاجأت من قوله، كنت أظن أنه يفكر في ما دار بيننا من حديث... وعدنا إلى الصمت من جديد.

بعد قليل سألني.

قال: طيب، بعد أن تسافر من سيأخذني مشوار.

قلت: أمك.

قال: لا...

واحمرت عيناه وانحدرت دمعة على خده، حاول كبتها فلم يقدر.

أحسست أني بالغت في الأمر.

قلت: ماذا بك هل تصدق كل ما يُقال لك. كنت أمازحك... أنا لن أغيب أكثر من أسبوع واحد وسأعود إليك سريعاً.

ما إن سمع كلامي حتى انفجر بالبكاء وارتمى في حضني، ثم ما لبث أن تركني وخرج من صالون الحلاقة يركض نحو البيت.

يومها، دخل أيمن إلى غرفته دون أن يكلمني وأقفل خلفه الباب.

بيروت 86/3/6

شكر خاص

للرسامين الصغار الذين زينوا نصوص هذا الكتاب برسوماتهم، وقد اخترنا هذه الرسومات من مجموعة مصادر، بعضها يرجع رسمها إلى سنة 1970، ما يعني أن الرسام الصغير «عيد محمد»، الفلسطيني الأصل، أصبح عمره الآن 41 سنة.

فأين هو الآن يا ترى؟

في ما يلي أسماء الذين تمكّنا من معرفة هوياتهم، مع الاعتذار من الرسامين الذين لم نتمكن من ذكر أسمائهم لخلو الرسم من أي إشارة ترشدنا إليهم.

الإسم	العمر	النص
عيد محمد	٦ سنوات	وبكى أيمن
كريستيان جين		على السطح
ليليان مسعود		تعاسة
سمية (...)	٤ سنوات	من فوق السطح
عماد (...)	١٢ سنة	عيون الناس
كريستل زنو		تلخيص
ماريللا نهرا		حين رحلت أم أيمن
سيلفي الزين		الملك ميداس
رينيه الحايك		رمل
لمى (...)	٣ سنوات	حلم
خليل (...)	١٦ سنة	حكاية حسون
الهام (...)	١٣ سنة	ماذا أفعل
أديب عناني		هذه الدنيا
ليال جابر		آه فهمت

ماتيلدا بيلان		بلاد الواق الواق
جاك (...)	١٤ سنة	السعادة
فاديا (...)	٨ سنوات	أنا قبضاي
نيكول عوكر		أين أكون قبل أن أكون
ساندرا الفغالي		قبل أن ينام
ميشلين مخلوف		أفكر بدواء يكبرني
ابراهيم جبرا	١٤ سنة	ثلاث حكايات
مي (...)	٥ سنوات	الحفلة
زكي (...)	١٣ سنة	كان يا ماكان
حلمي (...)	٣ سنوات	أمنية في يوم متفجر
درويش عبدالله		الغزالة
رندى مارون		حياة وموت
سنتيا زيادة		رغبة
نادين سلمان		إحكِ لي حكاية
اليان ناصيف		أيمن والإسرائيلي
كارلا (...)	٩ سنوات	أتزوج أمي
رامز (...)	١٠ سنوات	الحوت يعرف
سعاد (...)	١٢ سنة	تحبني ولا تحبه
غادة فرنسيس		صوت البحر
هازار حليحل		ليل وشمس
باسكال صليبي		أسماء أسماء
ديانا (...)	١٦ سنة	أمين الجميل
خالد عريان	١٣ سنة	لماذا لا تفكر مثلي
نادين زكريا		أين كنت
سنتيا زيادة		ماذا يريد
غادة (...)	٥ سنوات	زيارة
فادية (...)	٤ سنوات	ماما وبابا

بسمة (...)	٩ سنوات	حاجز ليلي
مصطفى حسين	١١ سنة	المسلحون
نبيل (...)	٥ سنوات	اللغة
آمنة عبد الغفار	١٤ سنة	فليأكلوا الشجر
توفيق جمال	٦ سنوات	خط التماس
زهير محمود	٦ سنوات	أولاد الناطور
ياسر (...)	٥ سنوات	شمس وشعرها الطويل
ياسمين (...)	٩ سنوات	سيارات
وليد (...)	٩ سنوات	في بطن أمي
بطرس (...)	١٤ سنة	كي كي كي كي
يسر أحمد	١٠ سنوات	تحبني وتحبه
عبير أبو حبيب		أين كنتِ
كوزيت ثريا		تفاصيل
ناديا (...)	١٥ سنة	فرقيع فرقيع
تغريد حسن	٧ سنوات	تكرار
سالم شبوب	٦ سنوات	نقتلها أو لا نقتلها
صباح محمد	١١ سنة	لا أحب جدتي
جليلة (...)	١١ سنة	من يدق الباب
فاطمة (...)	٩ سنوات	كيس الورق

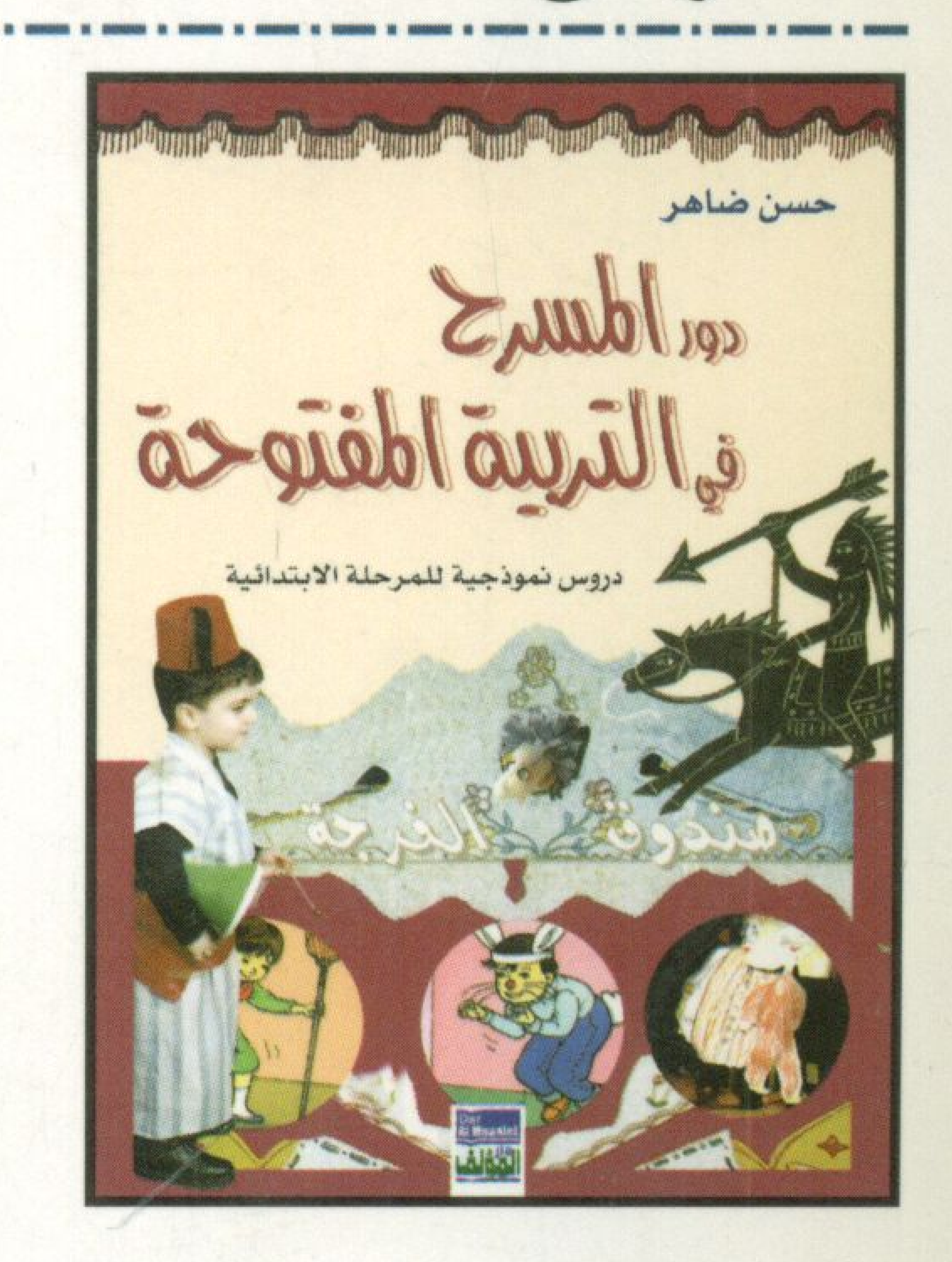
السلسلة التربوية

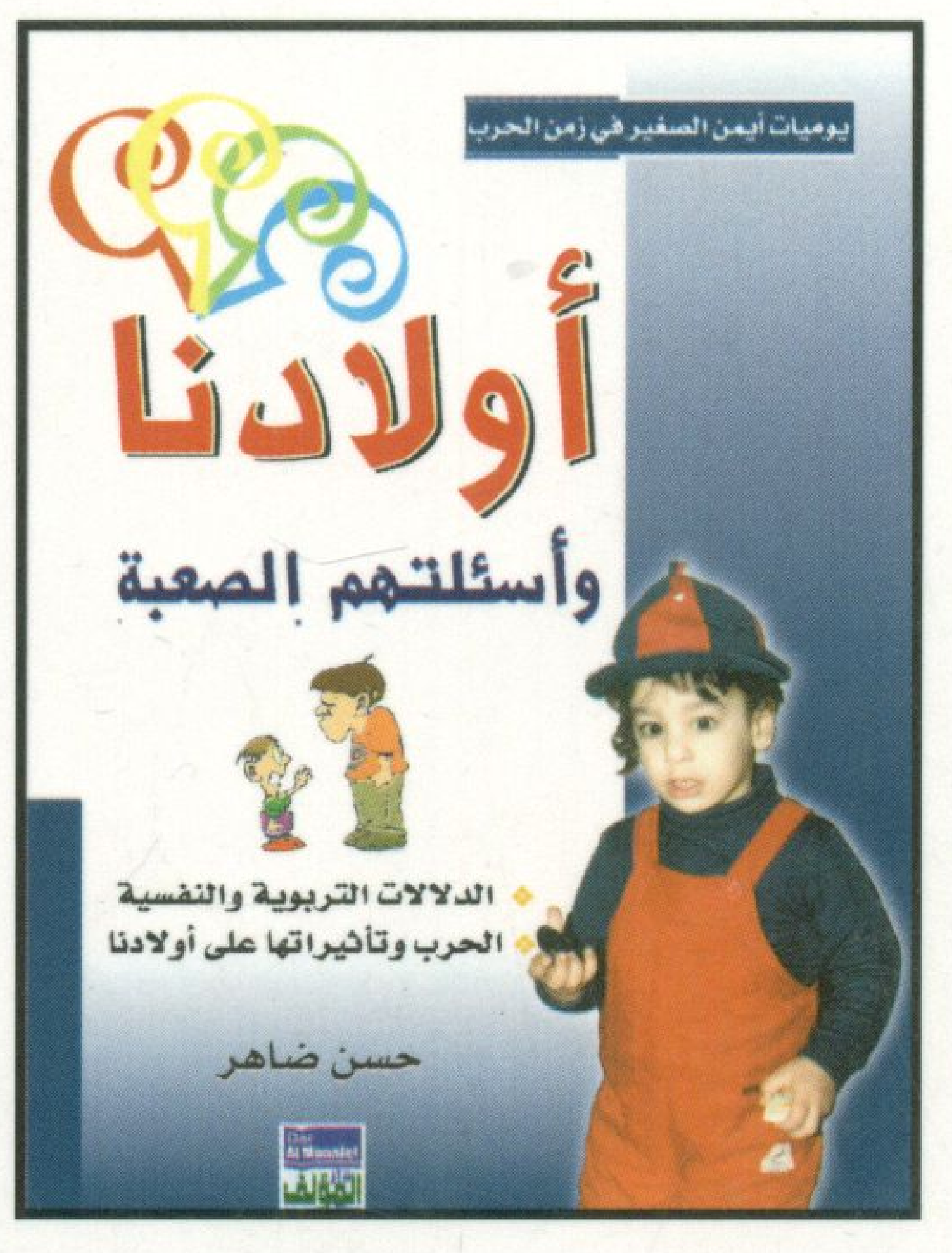
أولادنا وأسئلتهم الصعبة

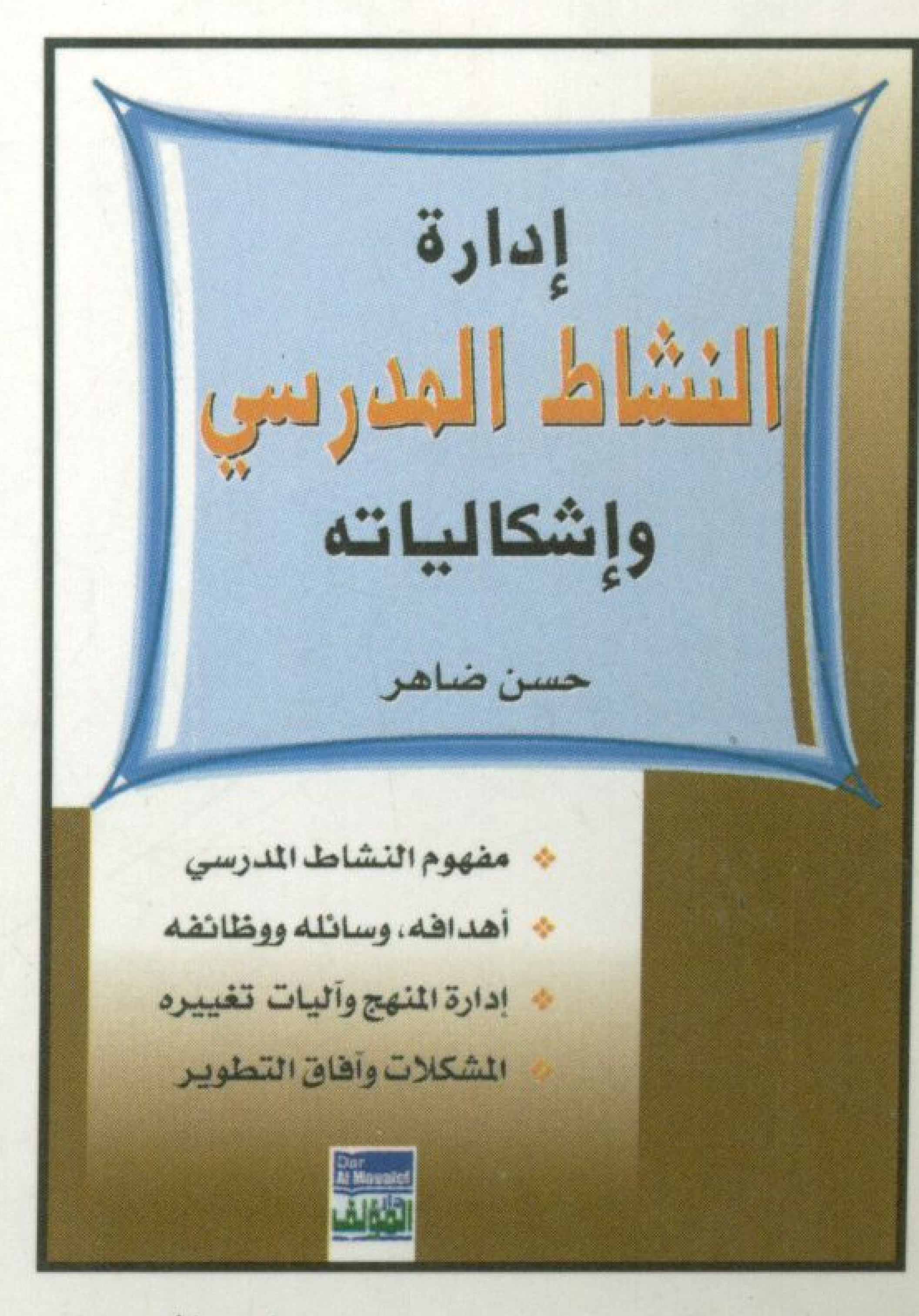
هذا الكتاب إن لم يكن شرحًا جافًا لبدايات الوعي عند بني البشر، فإنه يسمح باستقراء التجربة المباشرة التي تشبه تجربة السابح في المحيط دون الاعتماد على معرفة مسبقة أو أداة جاهزة للعوم، إنها قصة روبنسون كروزو من دون رفيقه «فندريدي» ومن دون تاريخ.

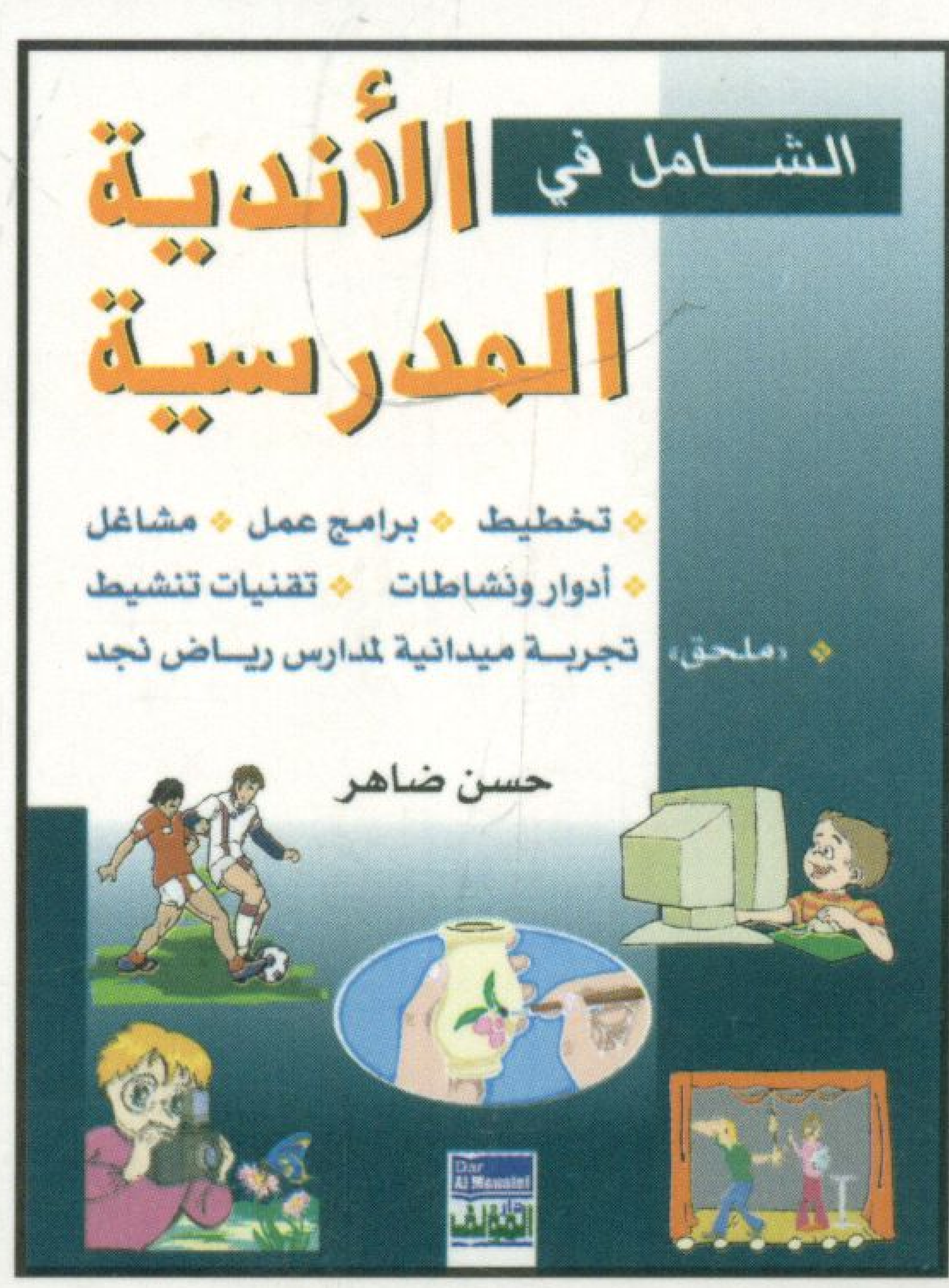
فهل كان يستطيع أن يحمي ذاته من قرص البرد وألم الجوع ووحشة الوحدة، أم كان سيرى كما يرى أيمن أن للأشياء أرواحًا مثل بني البشر وأن روزنامته لم تكتب بعد وأن عليه أن يكتشفها، فهو محكوم أن يعيش بأجيال قبل أن يبلغ سن الطفولة.

صدر من هذه السلسلة













دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع

هاتف: 823720 – 824203 (9611+)، فاكس: 825815 (9611+)

ص.ب: 13/5687 (2060 ـ 1102) بيروت ـ لبنان

info@daralmoualef.com www.daralmoualef.com